أبناؤنا قبل الطوفان

أبناؤنا قبل الطوفان

الدكتور
حمدي الأدهم

تقديم الأستاذ الدكتور
خالد فهمي



الإخراج الفني: محمود عبد الفتاح
الغلاف: مصطفى الشريف

إهداء

- إلى كل أب وأم يسعيان لتربية أولادهم بالإسلام.
- إلى ورثة الأنبياء المعلمين المربين فهم رسل الضياء وسبل المعرفة والبناء.
- إلى الشباب المسلم في معاهد العلم المختلفة.
- إلى المسئولين عن العملية التربوية في العالم الإسلامي.
- إلى أساتذتي وزملائي وكل من علمني حرفًا أو أسدى إلي نصحًا أو آزرني في عمل الخير.
- إلى روح أبي وأمي رحمهما الله؛ أدعو لهما آناء الليل وأطراف النهار ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]

إلى هؤلاء جميعًا:

أهدي هذا البحث أداء للأمانة وقيامًا بواجب الدعوة إلى الإسلام.









تزكية

نشهد بأن الدكتور حمدى محمد الأدهم باحث جاد متمكن، وقد عرفناه على درجة عالية من ثقافة موسوعية شاملة وحس لغوى دقيق وقدرة على النفاذ إلى الرأى الصائب السليم .

أ.د. أحمد إبراهيم هندى	أ.د. محمد يونس عبد العال
أستاذ بقسم اللغة العربية	أستاذ بقسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة عين شمس	كلية الآداب- جامعة عين شمس

رقم الصادر: .... التاريخ: المرفقات: لا يوجد

المراسلات: كلية الآداب، جامعة عين شمس، العباسية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الرمز البريدي ١١٥٦٦

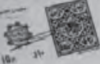
Correspondence: Faculty of Arts, Ain Shams University, Abbasiya, Cairo, Egypt. Postal code: 11566.

Fax: 0020-2-26884078 Website: www.arts.shams.edu.eg

نموذج رقم ١٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة



AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

١٦٣٤٩
١٩

السيد / حمدى محمد الأدهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد :

بناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : قبل الطوفان ...

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

والله الموفق ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا فى / / ١٤ هـ
الموافق ١٠ / ٩ / ٢٠٠٩ م

النجاة من الطوفان

قراءة في كتاب: أبناؤنا قبل الطوفان للدكتور / حمدي الأدهم

١- مدخل : الإنسان أطيب كسب

توشك أن تكون الكلمة السحرية : التربية هي المركز الحقيقي في النظر الى قيمة الإنسان ساعة يحلق حرًّا بعيدًا عن أسر الطيبنة، متعاليًـا بـإرادة و إختيار فـوق الأرضية سـموا نحو بعـض المعاني الملائكية .

ولعـل ترتيب طلـب الرحمة في الآخرة بسـبب من خدمة قضية تربية الإنسان في الدنيا تكشف عن سحرية هذه المفردة المركزية فـي التصور الإسـلامي ، فلقد جاء في الذكـر الحكيم : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤] والمدهش في هذا الموضوع هـو أنه أمر مرادًا من رب العزة – سـبحانه – بدليـل أنه يوقف عليه المخاطب ، و يعلمه إياه .

والمدهش كذلك أن الله – سـبحانه – جعل طلبه معلَّلًا بما سبق من الوالدين من أمر تربية الصغير .

والآية الكريمة تلمح إلى أن توفير التربية من تمام تصور العباد لمفهـوم الربوبيـة المعتمد علـى التفضل منه – سـبحانه وتعالى - ، وتلمـح إلى أن عبء التربية شـاق يحتاج إلى تضافـر الجهود وهو

بعض ما يمكن فهمه من الفاعـل المثني، وتلمح الى ضرورة العناية بها منذ فترة الصغر.

لقد استقر في التصور الإسلامي أمر النظر إلى الإنسان علي أنه أطيب كسب يمكن أن يحققه والدان .

ومن هنا فإن أي جهد ينجز في سـياق ترقية الإنسان ، وتهذيبه ، وتشذيبه ، وتربيته يجب استقباله بكل حفاوة وتقدير .

٢- قبل الطوفان! كيف نربي أولادنا بالإسلام للدكتور / حمدي الأدهم: مادته واهميته وإنتماؤه المعرفي

إن فحص مادة كتاب : قبل الطوفان ! كيف نربي أولادنا بالإسلام للصديق دكتور / حمدي الأدهم تكشـف عن أهمية خاصة ، ذلك أنه يعالج موضوعًا خطيرًا يتعلق ببناء الإنسان، وبناء الإنسان أعظم عنوان صكته الفكرة الإسلامية وقام عليه التطبيق النبوي الشريف ، واستمر كذلك في برامج العمل الإسلامي .

ثم يستمد الكتاب بعضًا من أهميته من وعي صاحبه ، وتكوينه العلمي والثقافي . ويضم الكتاب سبعة مباحث ، هي كما يلي:

المبحث الأول : ما معني التربية الإسلامية؟

المبحـث الثاني: مصادر التربية الإسـلامية (القـرأن الكريم/ السنة المطهرة / حياة الرعيل الأول / الكون) .

المبحث الثالث : خصائص التربية الإسلامية .

المبحث الرابع : أهداف التربية الإسلامية .

المبحـث الخامـس: ميادين التربيـة الإسـلامية : (الأسـرة / المدرسـة/ المجتمـع/ المسـجد/ النـادي/ الرفـاق/ الجمعيـات/ الكشافة) .

المبحـث السـادس: مجالات التربيـة الإسـلامية : (الروحية / الفكرية / الخلقية / البدنية / الاجتماعية / النفسـية / الجنسية / المهنية) .

المبحث السابع : كيف تربي أولادك بالإسلام؟ (وسائل التربية المؤثـرة / القـدوه / التعود / الموعظة / القصة / التشـبيه والأمثله / المجادلة والحوار /الإسـئلة / الملاحظة / المناسـبات / بتوجيه الطاقة / المقارنة / المحاضرة / اللعب / الثواب والعقاب) .

وفحص هذه المـادة العلمية تقود الى تنـوع الإفادة من الكتاب ، وتجعل منـه مثال لتنوع الانتماءات المعرفيـة ، وفيما يلي محاوله لذكر هذه الانتماءات المعرفية :

أولا :- علم التربية العملـي ، فالكتاب واضح من عنوانه انتماءه الأصيل إلى علم التربية ولا سيما جانبها التطبقي العملي الذى يتوخا ترقية السلوك الإنساني منذ الصغر .

ثانيًـا : علم الأدب بمعناه الواسـع فهو ينتمي إلـى مفهوم الأدب بإعتبـار غايته التى يسـعي إلي تحقيقها ، فالأداب تسـتهدف تزكية النفس الإنسانية ، وترقية سلوكها وتهذيبه .

ثالثًا : علم الأخلاق ، وذلك أنه بما يتضمنه من دلاله علي استقامة النفس ، ينتمي الى الأخلاق .

رابعًـا : علم الدعـوة ، فهو الكتاب وضعه مثقـف داعية ممارس به واجبًا يستشعر المسـئولية نحوه ، والدعوة هنا باب عظيم يغطي حركة المسلم المعاصر في الحياة .

والمؤلـف داعيـة بحكـم إنتمائه الفكـري والمعرفـي ، وداعية بحكـم موقعه في الحياة ، وداعية بحكم تكوينه الثقافي والفكري والعملي .

وللكتاب أهمية بالغة في الباب العلمي الذى يتوجه إلى خدمته، ورعايته ، وتظهر علامات الأهمية فيما يلي :

أولا: خطـر ما يتوخاه ، ويسـتهدفه ، إذ الغايات النبيلة ترقي بما يحققهـا، وقديمًا ظهـرت في مناهج تصنيف العلـوم منهجيه تعتمد أصـل الشـرف ، فيما يعـرف بالمنهـج الاكسـيولجي الأخلاقي في تصنيف العلوم .

ثانيًا: اسـتيعاب الكتاب وشـموله من للمتوقع منه ، وقد اسـتوفي الكتاب في قسـمه مباحثه القول فـي المصادر والمناهج والميادين والمجالات والوسـائل، كما أنه مسـتوعب في توظيف أنواع كثيره من المعارف التربوية والشرعية والاجتماعية والنفسية وغيرها.

ثالثًا: اعتمـاده عددًا من المصادر الأصيلة فـي موضوعه العلمي كما تشهد قائمة مراجعه .

رابعًا: حسـن تقسـيم الكتاب ، ومنطقية ترتيلهـا ، وتدرجها من المفهـوم إلـى المصـادر إلـخ ..... وهو مـا يعكس وعيـه البحثي ، وخبرته التأليفية في هذا الميدان الخطير .

٣- العمل الإسلامي : الأمل!

والكتاب في هدفـه وخطته ومادته العلمية يعكس الأمل الذى يمثله العمل الإسـلامي المعاصر للمجتمعات العربية ولا سـيما في الوقـت الراهـن وهو بذلك يبرهـن علي ضرورة إعتبـار التربية او بناء الإنسـان الأساس والأصل المسـتمر الدائم في عمليات التغيير التـى يجـب العناية بهـا ، ورعايتها فـي كل الأجواء ومـن قبل كل المؤسسات والهيئات الاجتماعية .

لقـد منح هذا الكتاب لقارئه شـعورًا بعظمة ما يمكن أن تمنحه الفكرة الإسـلامية لمجتمعاتها ، وأعطى شعورًا عميقًا بحجم القيمة المخزونـه في النظـر إلى الإنسـان ، وبالتالي في النظـر إلى قضية تربيته وترقيته .

أن الأمـل قائـم ، وأبوابـه مشـرعة علـي اتسـاعها فـي أن تتهيأ للإنسـانية وضعية جديده متمايزة عن ما هي عليه شريطة استعاده محددات الهوية والمرجعية وتربية الإنسان عليها منذ الصغر .

الأمـل قائم فـي التربية مـن أجل اقتـلاع المخـاوف ومواجهة الطوفان .

الأستاذ الدكتور / خالد فهمي
كلية الأداب – جامعة المنوفية

المقدمة

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، سبحانك اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.. والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، ومربي البشرية محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

لم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ودخل اليمن ووصل إلى تُهامة ونجد، وفي عهد الخلفاء الراشدين أخضع المسلمون المملكتين العظيمتين فارس والروم وامتد ظلهم إلى بلاد السند شرقًا وأرمينية وبلاد الروس شمالًا، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية أفريقية وذلك كله خلال (٣٥) عام.

وفي عهد بني أمية استبحر مُلك المسلمين وامتد سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد الأندلس غربًا، وفي عهد بني العباس استطاع الخليفة هارون الرشيد أن يصور للعالم بسطة المجد الإسلامي الممتد شرقًا وشمالًا وجنوبا؛ فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي مرت به ولم تمطر فيقول لها: «أمطري حيث شئت فإن خراجك سيُحمل إلينا».

وما كان ذلك النصر والتمكين للمسلمين إلا بسبب التربية الربانية التي رباهم عليها المربي الأول نبينا محمد ﷺ وفي ظل منهج

تربوي فريد مقتبس من القرآن الكريم - وحي الله إلى عباده - ليكون لهم دليلًا و إماما ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] فأثمرت هذه التربية رجالًا سادوا الدنيا وكانت عيونهم على الآخرة؛ فهم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح:٢٩] وهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٧] .

فكان هؤلاء مصابيح الدجى، استنارت بهم الحياة؛ فهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

ثم دار الفلك دورته، وتراجع المسلمون عن دينهم، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وبعد أن كان نبع تربيتهم كتاب ربهم وسنة نبيهم؛ استبدلوا ذلك الخير بنظريات شرقية وغربية؛ فنشأت أجيال تروي فكرها وتربيتها من الشرق والغرب؛ فأصبحت هذه الأجيال تائهة الفكر والسلوك؛ وحينئذ حقت علينا سنة ربنا ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] وأصبحنا في ذيل الأمم بعد أن كنا في المقدمة، واتسع الخرق على الراقع، وسقطت حصوننا الحصن تلو الحصن، وكان آخرها حصن الخلافة التي رثاها شوقي بقوله:

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام
طوي الهلال فليتها طويت وعم العالمين ظـــــلام

ثم شاءت إرادة الله سبحانه - التي أبت أن ينطفئ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] - فظهرت الصحوة الإسلامية في العصر الحديث تنادي بالرجوع إلى الإسلام في كل مجالات الحياة، وكانت أخطر هذه المجالات مجال التربية.

ذلك لأن التربية هي الأساس الأول للإصلاح في جميع مناحي الحياة، وهي الطريق الطبيعي الآمن لأي تغيير؛ لأن التغيير يبدأ من النفس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وإذا كان التغيير يستهدف المجتمع؛ فإن المجتمع مجموعة من الأسر، والأسرة هي مجموعة من الأبناء يتولى تربيتها الأب والأم؛ ولذلك حرص الإسلام على توجيه أبنائه لاختيار الزوجة الصالحة كما قال ﷺ «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1] لأنها الشريك الأساسي في التربية.

ثم تبدأ هذه التربية بالتكبير في الأذن اليمنى للمولود، وتستمر هذه التربية مع الفرد حتى يلقي ربه.

لقد وضع الإسلام منهجًا فريدًا في كيفية التربية في جميع الأحوال

(١) جزء من حديث «متفق عليه»

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ [النحل: ٨٩] وها نحن في هذا البحث نستقي من ذلك النبع الذي لا ينضب؛ ألا وهو كتاب ربنا وسنة نبينا لنعرف « كيف نربي أبناءنا بالإسلام ».

وقد استعرضنا في هذا البحث ما هي التربية؟ ثم تكلمنا عن مصادر التربية، ثم عرّفنا خصائص هذه التربية الإسلامية ثم بيّنا أهداف التربية الإسلامية وميادينها ومجالاتها، وأخيرًا وسائل التربية المؤثرة.

إننا ندعو قومنا وأمتنا ونقول لهم: أنقذوا أبنائكم قبل الطوفان- طوفان المادية والفساد والإباحية - ولا مخرج لكم إلا بتربية أبنائكم تربية إسلامية.

وأخيرًا؛ فما كان في هذا البحث من صواب فهو توفيق من الله، وما كان من زلل فهو مني ومن الشيطان؛ فأسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهم آمين



المبحث الأول:

ما معنى التربية الإسلامية؟

قول تربوي:

«إنني أؤمن بقوة المعرفة، أؤمن بقوة الثقافة، ولكنني أؤمن أكثر بقوة التربية».

(سيد قطب - مجلة الرسالة عدد ٩٩٥ سنة ١٩٥٢ م)

دار جـدل طويل بين علماء التربيـة - الحديث منهم والقديم - حول تقديـم تعريف موحد للعملية التربوية، وسـوف نحاول في هذا المبحث أن نوضح بعض آراء هؤلاء العلماء في هذا الصدد.

التربية لغة:

ترجع لفظة التربية إلى أصول لغوية ثلاثة:

١ - **الأصل الأول:** ربا يَرْبُوُ بمعنى نما وزاد.

يقول «ابن منظور»: السحاب يَرُبُّ المطر يجمعه وينميه.

والمطر يَرُبُّ .. ينميه.

وربَّ المعروفَ والضيعةَ والنعمةَ، يَرُبُّها رَبًّا.

وربَّبَها: نماها وزادها وأتمها وأصلحها.

قـال تعالـى ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

٢ - **الأصـل الثانـي:** رَبَـى: يَرْبَى بمعنى نشـأ وترعـرع. قال ابن الأعرابي:

فمن يك سـائلًا عني فإني ... بمكـة منزل وبهـا ربيت

٣ - **الأصل الثالث** : رَبَّى. يُربى بمعنى أصلح وساس

ومنها الرب الذي من معانية (المالك - السيد المطاع - المصلح)

وقال البيضاوي في تفسيره: الرب في الأصل، مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا ثم وصفه تعالى للمبالغة[1].

وقال الأصفهاني: الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام[2].

وعليه فالتربية – لغة – ما هي إلا عملية نمو وزيادة، وبإسقاط ذلك على الإنسان يكون هذا النمو في كل جوانبه: جسمه، عقله، خلقه، روحه، ... الخ ويكون ذلك متدرجًا ومستمرًا.

التربية اصطلاحًا:

أدلى كثير من العلماء بدلوهم في تعريف التربية نذكر منها:

- **التربية**: الإجراء الذي تمارسه الأجيال الأكبر سنا على الأجيال التي لم تستعد بعد للحياة الاجتماعية[3].
- **التربية**: نمو إلى ما هو أحسن بالنسبة للفرد أو الجماعة.
- **التربية**: إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال وكل ما يمكن من الكمال[4].

(١) منهج التربية النبوية للطفل، أ/ محمد نور عبد الحفيظ سويد، ط٢، ص٢٠

(٢) المفردات: كتاب الراء (ربب)

(٣) التربية. معناها – أهدافها ، د/ عفاف هاشم خليل

(٤) روح التربية والتعليم ، محمد عطية الابراشي

- **التربية:** الوصول بالإنسان إلى الكمال الممكن[1].
- **التربيـة:** يحـاول د/ عبـد الرحمـن صالـح الجمـع بيـن هذه التعريفات المختلفة ليصوغها في تعريف واحد شامل فيقول: التربية الإسلامية هي عملية مقصودة تستضيء بنور الشريعة، تهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعها لتحقيق العبوديـة لله سـبحانه وتعالى، ويقـوم فيها أفـراد ذوو كفاءة عاليه، وفق طرق ملائمة، مسـتخدمين محتوى تعليميًا محددًا وطرق تقويم ملائمة[2].

وعليه فهذا التعريف يجمع بين طياته ستة أشياء تعتبر المحاور الرئيسية للتربية الإسلامية.



وهناك مترادفات لمعنى التربية ذكرها القرآن كالتالي:

التزكية، التعليم، التأديب: لقد اسـتخدم القرآن الكريم ألفاظًا

(١) روح التربية والتعليم ، محمد عطية الابراشي

(٢) مدخل إلى التربية الإسلامية د/ عبد الرحمن صالح صـ١٩

أخرى ترادف لفظ التربية الإسلامية وتدل على مضمونها؛ قال تعالى على لسان خليله إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

١. **فالتزكية**: هي تنمية ملكات الخير في الإنسان بعد تطهير النفس بالمجاهدة والطاعة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠] وعليه فالتزكية تختص بالوجدان من النفس البشرية – الأعمال القلبية.

٢. **التعليم**: يأتي لفظ التعليم في كثير من الأحيان مرادفًا للفظ التربية، ولكن هناك فرق كبير بينهما؛ فإذا اجتمعا كان التعليم أقل شمولًا من التربية؛ فالتربية إعداد الفرد بكل وسيلة من الوسائل المختلفة كي ينتفع بمواهبه وميوله، ويحيا حياة كاملة في المجتمع الذي يعيش فيه، وأيضًا تثقيف للعقل، وتقوية للجسم، وتزكية للنفس وتطهير للقلب.. الخ في توازن وانسجام، أما التعليم فينحصر في الجانب المعرفي وتحصيله فقط – فرع من فروع التربية – والتعليم هو علاقة بين شخصين أو أكثر بقصد نقل المعرفة؛ فهو لا يتطلب أكثر من معلم يلقي وطالب يصغي وينتبه، ولهذا نجد تدهورًا رهيبًا في المستوى التربوي لأبنائنا؛ وما ذلك إلا لأن لدينا كثير من المعلمين وقليل من المربين أو أن لدينا تعليمًا لا تربية[١].

(١) روح التربية والتعليم – محمد عطية الابراشي صـ١٦

٣. **التأديب**: هو مصطلح آخر متداول بين علماء التربية، والتأديب لغة هو التهذيب[١]

أدب فلانا: راضه على محاسن الأخلاق، وقديمًا كان يطلق لفظ (المؤدب) على من يختاره الخليفة أو الأمراء والأغنياء لتربية أبنائهم، أو أحيانا يطلق لفظ التأديب على العقوبة التي يوقعها المعلم أو الوالد بأبنائهما عند الخطأ.

وبعد أن علمنا معنى التربية لغة واصطلاحًا آن لنا أن نعرف تاريخ التربية الإسلامية.

تاريخ التربية الإسلامية وتطورها:

لا بد للتربية الإسلامية من قصة تحكى لنا عن بدايتها وتطورها؛ فإن هذا النظام المحكم لم يولد فجأة، ولم يصل إلينا فجأة.

لقد كانت التربية الإسلامية أول تربية تلقاها الإنسان على ظهر هذه الأرض، وفيها كان المولى سبحانه وتعالى هو المربي والمعلم، وآدم -أبو البشر- عليه السلام هو المتعلم.

وفي هذه الشأن يحدثنا المولى سبحانه وتعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ [البقرة: ٣١].

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) المعجم الوجيز صـ ٢٥

يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٧، ٣٨].

وأصبح آدم بعدها مربيًا، ومبلغًا عن ربه، وحاملًا لهذا المنهج الرباني، وكانت التربية تعتمد على التقليد والمحاكاة؛ فكان الولد يتعلم من أبيه ويقلده، وكانت البنت تتعلم من أمها وتقلدها.

وعندما بدأت الحياة في التعقد، وتراكم الموروث الثقافي، وطال على الناس الأمد؛ لم يتركهم المولى سبحانه وتعالى وإنما تعهدهم بعنايته ورحمته فكان يرسل بين الحين والحين رسلًا من عنده؛ ليعيدوا الناس إلى حظيرة التربية الربانية، نوح، هود، صالح، موسى، عيسى، وآخرهم سيدنا محمد ﷺ، ومِن بعده ﷺ قام العلماء بدور الأنبياء؛ فأخذوا يبينون للناس منهج الله ويعلمون الناس الدين والدنيا معًا، كل ذلك كان بجانب دور الأسرة الكبير في تربية الأولاد.

ومع ضغوط الحياة المختلفة تقلص دور الأسرة تدريجيًا، وأصبحت هناك مؤسسات تربوية تقوم على تربية النشء؛ فهناك المدارس والمعاهد والجامعات ودور الحضانة والكتاتيب، ومن فوقهم وزارة بأكملها - وزارة التربية والتعليم - وأصبح هناك خبراء يضعون الخطط والمناهج والأهداف، ومن أمامهم القائمين - من مدرسين ومدرسات - على هذه المؤسسات يقومون بدور المنفذ.

ولا شك أن طريق التربية شاق وصعب وطويل، ولكنه رغم ذلك هو الطريق الوحيد الموصل لبناء شخصية متكاملة متزنة تستطيع

أن تحمل المنهج الرباني.

وبعد أن عرفنا معنى التربية ومنشأها لا بد لنا من معرفة مصادر التربية الإسلامية.



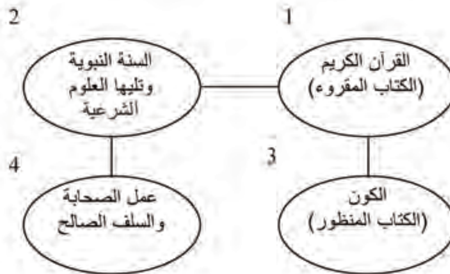
المبحث الثاني:
مصادر التربية الإسلامية

قول تربوي:

«أُمرنا أن نعلم أولادنا الرمي والقرآن».

خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (كنز العمال ٥٨٥ / ١٦
رواه الطبراني)

أرسل الله – عز وجل – سيدنا محمد ﷺ ليختتم به الرسل ويختتم برسالته الرسالات؛ ولذا فإن الله عز وجل أودع في رسالة النبي محمد ﷺ -القيم والمبادئ- ما يجعلها كفيلة لأن تبقى صالحة تربي أجيالًا ما بقيت الدنيا وكان سيدنا محمد ﷺ هو المعلم والمبلغ عن ربه، ومن بعده صحابته – رضي الله عنهم أجمعين – ولذلك جاء الإسلام ليحترم عقل الإنسان، ويدعوه في كثير من آياته للتأمل والتفكير والتدبر؛ ليستنتج ويوازن، ويعلم ما يصح وما لا يصح، وما يحسن وما لا يحسن، ولذا نستطيع أن نقول: إن مصادر التربية الإسلامية تنحصر في:



وسنأخذ المصدر الأول وهو «القرآن الكريم» كنموذج لننظر كيف يكون مصدرًا للتربية الإسلامية، وكيف أنه يحوي منهجًا تربويًا متكاملًا وفريدًا ؟

أولًا: القرآن الكريم: يقول المولى عز وجل في كتابه الحكيم:

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩].

إذن فالمولى سبحانه وتعالى تكفل بحفظ كتابه بألا يعتريه تحريف أو تزييف، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والقرآن الكريم هو دستور المسلمين، وهو المصدر الأول للإسلام؛ وبالتالي للتربية الإسلامية، فتعاليم الإسلام ترجع في أصلها إلى القرآن الكريم من عقائد، وعبادات، ومعاملات.. الخ.

(منهج القرآن في التربية)

لقد أوضح القرآن الكريم أن للإنسان غرائز ملازمة له وهذا واقع الإنسان.

أولًا: القرآن الكريم يُعرَف ذلك الإنسان

الغرائز والطبائع والميول التي ذكرها القرآن الكريم:

أولا: غريزة الخوف والضعف البشري، وحب الادخار، والشح، واستعجال الخيرات والملذات، وجموح الغرائز:

١ - غريزة الادخار والشح:

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٠]

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر: ٢٠]

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨]

٢ – غريزة الخوف والضعف البشري:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١]

٣ – غريزة استعجال الخيرات والملذات:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١]

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ [القيامة: ٢٠]

٤ – غريزة الجموح للغرائز والشهوات:

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣]

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ ﴾ [البقرة: ٣٦]

٦ – غريزة حب الظهور والاستعلاء والتفاخر:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ - ٧]

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]

٧ – غريزة الأبوة والأمومة من محبة الأولاد والخوف عليهم:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩]

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩]

٨ – عاطفة الإيمان بالله وتجليها عند الخوف:

وكونها مركوزة في قلب أشد الكافرين وأعمق المنكرين.

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ [الزمر: ٨]

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ [الروم: ٣٣]

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان: ٣٢]

٩ – غريزة الاجتماع: (١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وبعد أن أوضح القرآن الكريم هذه الغرائز وضع منهجًا للتربية، ويقوم منهج القرآن على أسس ثلاث(٢):

١- المحاكمة العقلية. ٢- القصص والتاريخ.

٣- الإثارة الوجدانية.

أولًا: المحاكمة العقلية: تتألف بنية المحاكمة العقلية، في القرآن، من ثلاثة جوانب:

---

(١) القرآن في التربية الإسلامية: الشيخ / نديم الجسر – صـ ٢٦ - ٣٠ - يتصرف ط/ هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤٢٥ هـ

(٢) منهج تربوي فريد في القرآن د/ محمد سعيد رمضان البوطي – مؤسسة الرسالة صـ٢١، ٢٢

الأول: تعريف الإنسان بذاته.

الثاني: اختيار أسلوب صالح لمدارك جميع الناس.

الثالث: الاعتماد على المناقشة والحوار.

الجانب الأول: تعريف الإنسان بذاته قبل كل شيء، فقد بدأ القرآن خطابه إلى الناس بتوجيههم إلى النظر والتأمل في أنفسهم، وبالحديث عن أصل الإنسان وحقيقته وكيفية نشأته وتكاثره.

تجد ذلك واضحًا في أول الآيات القرآنية نزولًا، كما تجده في أولى صفات القرآن الكريم كتابة وترتيبًا؛ فقد كانت أولى الآيات القرآنية نزولًا تعريف بالإنسان وجوهره، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥] فأنت ترى أن الله عز وجل لم ينبه الإنسان إلى ربوبية الله ووحدانيته إلا من حيث أرشده إلى ذاته وأصل تكوينه ونشأته

«ولهذه البداءة التمهيدية أهمية تربوية كبرى؛ ذلك لأن جميع المعارف التي يكتسبها الإنسان إنما هي فرع لمعرفة سابقة هي معرفته لذاته، فلولا إيمانك بالعقل ووظيفته ما آمنت بشيء عن مقولاته وأحكامه، ولولا معرفتك لتركيبك النفسي والجسمي لما عرفت شيئًا من حقائق الكون التي تطوف من حولك» (١)

فيبدأ القرآن في محاكمته العقلية للمنكرين بلفت أنظارهم إلى

---

(١) المصدر السابق صـ٢٣

أنفسـهم وإلى قصة وجودهم، حتى إذا استرعى أذهانهم ذلك؛ أخذ يحدثهم عن وجود الله ووحدانيته وعبودية الإنسان له.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٥ - ٨] (١)

الجانـب الثانـي: «اختيـار أسـلوب صالـح لجميع النـاس على اختلاف بيئاتهم وثقافتهم وأزمانهم؛ فليس من سـبيل لجذب الناس إلى المبـدأ المطلوب، طالما كان أسـلوب الدعـوة والتعليم صالحا لفئة منهم دون أخرى».

وإنها لأشـق شـريطة من شـرائط المنهج التربـوي الذي يراد سلوكه مع جمهرة مختلفة من الناس، وما يخفق أكثر المربين – من ناحية المنهج والأسلوب- إلا لعدم سيطرتهم على طريقة من القول والبيان تأتي على قدر إفهام جميع السامعين أو المتعلمين (٢)

انظـر إلى قوله عز وجل وهو يصف الشـمس والقمـر بأبرز ما يختص به كل منهمـا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١] وإلى قوله سبحانه في الموضوع نفسه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح:١٥- ١٦]

وإلى قوله سـبحانه أيضًا فيهما ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونـس: ٥] فأنت ترى أنه وصف الشـمس في الآيات الثلاث

(١) المصدر السابق صـ ٢٦

(٢) المصدر السابق صـ ٢٦ ، ٢٧

بكونها سـراجًا أو ضياء، والقمـر بكونه نورا أو منيرًا، وهو وصف دقيق ينطوي على معان مختلفة تتوزع على أصناف الناس حسـب ثقافتهم، ومـدى إمكان الفهم لديهم، وهي جميعًـا معان ثابتة لكل منهما.

فأمـا الأعراب من الناس فيفهمون من هذين الوصفين أوسـع قدر مشـترك بينهما، وهو الضياء المطلق؛ إذ السـراج والنور يلتقيان على هذا المعنى المشـترك العام، وأما عامـة المثقفين من الناس فيدركون من هذين الوصفين - بالإضافة إلى المعنى المشترك بينهما - أن الشمس تنفث مع الضياء حرارة أيضًا، وأن القمر يعطي ضياء لا حرارة فيه؛ إذ الشيء المضيء لا يطلق عليه اسم السراج إلا إذا كان يشع بالحرارة.

وأما علمـاء الفلك أو عامـة المدركين لطبيعة كل من الشـمس والقمـر، فيفهمون من هذين الوصفيـن - إذا كانوا على علم باللغة العربيـة وفقهها - أن الآيـة ناطقـة بأن ضياء الشـمس يسـطع من داخلهـا، وضيـاء القمر ينعكس إليـه من جرم آخـر مقابل له؛ لأن ذلك هو الفـرق اللغوي الدقيق بين الكلمتيـن؛ فأنت تصف الغرفة بأنها منيرة أو مضيئة ولا تصفها بأنها سـراج، إذ إن ضياء الغرفة إنما ينعكس إليها من المصباح المضيء في داخلها، والسراج إنما ينبثق ضياؤه من داخله[1].

الجانب الثالث: الاعتماد على المناقشـة والحـوار، وللقرآن في ذلك أسـلوب رائع عجيب، فهـو إذ يناقش ويحاور، يثير النظر إلى

(١) المصدر السابق صـ٣٢ ، ٣٣

الأدلة ويعرض لها ويدع ثمارها ونتائجها مكشوفة في تضاعيف الكلام، دون أي نص على هذه النتائج، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل، وتلك هي فائدة الأسلوب الحواري القائم على السؤال والنقاش.

فالغرض منه سَوق التلميذ في الطريق العلمي المطلوب بنفس السرعة التي يسير بها المربي أو المعلم؛ إذ إن من أخطر آفات السرد والإلقاء المجرد أن يسير المعلم في شرحه ويصل إلى النتيجة العلمية المطلوبة، بينما السامع لا يزال واقفًا حيث هو، أو يسير متخلفًا عنه في متاهات متعثرة لا تفيد علمًا، ولا تكتسب فهما، فإن تصريح المناقش المربى بنتائج الأدلة وثمراتها (أثناء النقاش) يذهب بجدوى عمله التربوي كله.

وربما جاء الأسلوب الحواري لتحقيق فائدة أخرى، هي الكشف عن عناد المعاند، ومعرفته للحق الذي يتظاهر بجهله، فإن المناقشة تحركه وتلجئه إلجاء إلى الكشف عن خبيئة أمره وباطن ما في نفسه.

انظر إلى هذه الآيات التي جاءت في أواخر سورة النمل ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ [النمل: ٥٩-٦٤].

إنه أسلوب حواري كما ترى، يقوم على إثارة الأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر، ولا تجد أي جواب صريح على سؤال منها.

وإنما نجد من الجواب لفت النظر إلى حيث يتسنى للفكر أن يدرك الجواب الصحيح ويتنبه له.

إنه يسأل ويلح في السؤال وطلب الجواب، ولكنه سرعان ما يُضْرِب عن السؤال وطلب الجواب معا؛ ليلفت النظر إلى أساس المشكَلة في الأمر: إنهم يعدلون بالله غيره سلفًا.

إن هذا الأسلوب الحواري يكشف عن عناد المشركين، ثم يزحزحهم عن مواقفهم العنادية هذه، ويضعف فيهم طاقة التشكيك والتجاهل، وبذلك يكونون مادة تربية لغيرهم إن أصروا على كفرهم مع ذلك، أو يكون هذا الحوار مادة تربية لهم أنفسهم إذ نبههم إلى صحو الإيمان وضرورة الإنصاف.

ثانيًا: القصص والتاريخ: (١)

للقصص والأبحاث التاريخية أهمية كبرى في المجال التربوي، ولكن الشأن ليس في إيراد القصة كيفما اتفق، وإنما الشأن في معرفة الطريقة التربوية التي يجب أن يتم نسيج القصة

(١) منهج تربوي فريد في القرآن الكريم – الدكتور البوطي

على أساسها.

أ - لا يسوق القرآن من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت القصة من أجله؛ كي تظل الصلة متينة بينها وبين المناسبة الداعية إلى ذكرها، بحيث تبعث القصة فيها الأهمية، وتمدها بالحركة والحياة؛ من أجل هذا لا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردًا تاريخيًا تبعًا لسلسلة الوقائع والأحداث، إذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارئ عن المناسبة والغرض الأصلي اللذين ذكرت بصددهما.

تقرأ مثلًا في قصة أصحاب الكهف قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾[الكهف: ١٣-١٤].

فأنت ترى أنه بدأ فوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن أقوامهم الكافرين، فآمنوا بالله وحده، وأنهم من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم في شواهق الجبل وبطون الكهف فمن هؤلاء القوم؟.. وفي أي بلدة كانوا يعيشون؟.. وكم كان عدد هؤلاء الفتية ؟ وما هي أسماؤهم؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة عن هذه الأسئلة كلها.

ولكنها لو سارت على هذا المنوال لما وفّت بالغرض الذي استهدفته، ولانصرف فكر القارئ إلى تتبع أحداث تاريخية شائقة

يتطلـع إلى معرفتها، ولغفـل بذلك عن العبرة والعظة اللتين سـيقت القصة من أجلهما.

ب. تضمين النصائح والعظات في ثنايا القصة: ويهدف المنهج التربوي من ذلك إلى ألاّ يندمج القارئ مع القصة، وينصرف إليها بكل تفكيره، فيطول به العهد وينسى المساق الأصلي للقصة، وتلك هي آفة الاستعانة بالقصة في التربية والتهذيب؛ إذ من شأنها أن تبعد القارئ أو السامع تدريجيًا عن مساقها الذي انطلقت منه، وغايتها التي تسير إليها، بسبب انشغال الفكر بأحداثها ومفاجآتها، وبما قد يكون لها من مشاهد مثيرة.

فإذا تغلب المربى على هذه الآفة، واعتمد على أسلوب حكيم، لا يُقصي السـامع خلال مراحلهـا المختلفة عن المحـور التربوي الذي انطلق منه؛ كانت القصة إذ ذاك أعظم وسيلة تربوية ناجحة، وذلك هو منهج القرآن فيها.

يقص الله علينا في سـورة «طه» خبر «موسـى وفرعون»، حتى إذا تشـعبت أحداث القصة، وكاد السامع أن يغفل عن مساق القصة والغرض منها، بالتأمل فـي واقعها وغريب أحداثها، فوجئ القارئ - بأسـلوب بالغ الحكمـة والروعة أثناء ذلـك بحديث آخر جديد يتوجه إلى السـامع بالموعظة والإرشـاد، ويشده إلى الغرض الكلي الذي سيقت القصة من أجله.

حتـى إذا حقـق هذا الحديـث الطارئ أثره المطلـوب في نفس السامع، عاد السياق مرة أخرى إلى القصة وأحداثها.

تأمل هذا كله في قوله تعالى، وهو يقص علينا سبحانه وتعالى من نبأ موسى وفرعون:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾
قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى
﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا
بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾
۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا
فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه: ٤٩ - ٥٦].

فانظر كيف توقف سير القصة، ليظهر من ورائها في حكمة حديث آخر يتحول فيه الخطاب مما بين موسى وفرعون، إلى ما بين الله وعباده، متضمنًا الامتنان بالنعم، والتحذير من النقم، والتنبيه إلى بالغ سطوة الله وعظيم جبروته.. حتى إذا اصطبغت القصة بهذا الجو الإرشادي، واستعاد السامع أو القارئ بذلك انتباهه إلى الغرض الكلي الذي من أجله نزل القرآن – عادت القصة إلى مسارها بدءًا من قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾[1].

ثالثًا: الإثارة الوجدانية:

ويتلخص المنهج التربوي في القرآن الكريم لاستخدام هذه الوسيلة في مراعاة الأمور التالية:

١. أن لا تكون بديلًا عن حركة العقل وحكمه، بل عونًا على

(١) المصدر السابق صـ ٥٤- ٥٦

حركته ونشاطه ثم عونًا له لإخضاع النفس لحكمه.

٢. أن يعتمد سبيل الإثارة الوجدانية قدر الإمكان على التصوير والتخيل، لا المحاكمة العقلية والنسيج المنطقي، فإن فاعلية الوجدان تضمحل في غمار التأمل الفكري والمحاكمة العقلية.

٣. أن يعتمد المربى على مزيج متكافئ من العناصر الوجدانية المؤثرة، بدلًا من أن يركز على عنصر واحد منها.

تأمل هذا النص القرآني العظيم، كيف يبدأ بإثارة العقل وتنبيهه إلى الحقيقة بالوسائل العلمية والفكرية المجردة، ثم يثير كوامن الخوف والتحذير في النفس كي لا تتمرد على حكم العقل وقراره الذي لا مرية فيه:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾
فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾
مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ
مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

[عبس: ٢٤ -٤٢].

فالشطر الأول من النص تنبيه للعقل إلى دلائل وجود الخالق عز وجل ودفع له إلى الإيمان، والشطر الثاني إثارة النفس عن طريق كوامن الرغبة والرهبة أن تتفاعل مع فهم العقل وحكمه؛ فلا تنفصل عنه ولا تتمرد عليه.

ولابد أن يعتمد سبيل الإثارة الوجدانية قدر الإمكان على التصوير والتخيل لا المحاكمة العقلية والنسيج المنطقي، فإن فاعلية الوجدان تضمحل في غمار التأمل الفكري والمحاكمة العقلية.

وتلك هي الطريقة المجدية كلما احتاج المربي إلى الاستعانة بالعنصر العاطفي للوصول إلى غاية تربوية، وتلك هي الطريقة التي يسير عليها القرآن!.

إن القرآن لا يخاطب العقل إلا حينما يريد أن ينبهه إلى حقيقة علمية أو فكرية مجردة؛ فإذا ما أراد إثارة شيء من كوامن الوجدان في النفس اتخذ إلى ذلك أسلوب الوصف والتصوير، ووضع من ذلك أمام خيال القارئ أو السامع أدق مرآة تبرز فيه الصورة المطلوبة بكل جلاء ووضوح.

وربما عبر القرآن (لإبراز هذه الصورة أمام النفس) بكلمة واحدة، وربما وضعها في بيان يتألف من بضع آيات حسب ما يقتضيه الحال، وحسب طبيعة سياق الكلام.

انظر إلى هذه الآيات من سورة الإسراء:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[الإسراء: ٢٣] إنها آيات تخاطب في الإنسان عقله، تأمره بأن لا يدين لعبادة أحد غير الله عز وجل وأن يحسن إلى والديه ولا يؤذيهما بقول أو تصرف.. ولكن هذه الأوامر تحتاج

لانصياع النفس لتنفيذها إلى إثارة عاطفية يخضعها لأمر الله عز وجل، ولقناعة العقل الرشيد بهذا الأمر، فأين هي الإثارة العاطفية في الآية وكيف كان سبيلها؟

إنها قوله عز وجل: ﴿عِندَكَ﴾

لو حذفت هذه الكلمة عن الآية، لاختفى منها أعظم عوامل التأثير فيها؛ إنها كلمة واحدة؛ ولكنها تفيض بشحنة هائلة من العواطف المثيرة؛ إذ هي تصور للمخاطب حالة والديه وقد انتهيا من الضعف والشيخوخة إلى أن غدا كل منهما يعيش في كنفه وفي ظلال عطفه ورعايته، بعد أن كان هو الذي يعيش في كنفهما وفي ظلال عطفهما ورعايتهما.

فانظر كيف أثار في نفس الابن عوامل الشفقة والرحمة بهذه الكلمة التصويرية التي وضعها أمامه، دون التوسط لذلك بأي إرشاد عقلي أو توصية أو تذكير فكري، ولو استعيض عن هذه الكلمة التصويرية المباشرة بشيء من عبارات التذكير والتنبيه ونحوهما؛ لاستيقظ من العقل حاجز يقف دون تصور النفس لهذه الصورة المثيرة المؤلمة، و إذا لما كان لهذا التوجيه الأخلاقي أثره الإيجابي المطلوب في النفس.

ولا بد من الاعتماد على مزيج متكافئ من العناصر الوجدانية المؤثرة، وعدم تغليب عنصر منها على آخر.

إن منابع العواطف في الإنسان تنحصر في الأصول الثلاثة التالية[١]:

أ- **عواطف دافعة:** كالفرح، والأمل، والرغبة.

ب- **عواطف رادعة:** كالخوف، والرهبة، والإشفاق.

ج- **عواطف ممجدة:** كالإعجاب، والحب، والتقديس.

و إذا تأملت في مختلف المشاعر الوجدانية في حياة الإنسان، أدركت أنه ما من معنى عاطفي إلا و يعود نسبه إلى واحد من هذه الأصول الثلاثة، وهي وحدها عمدة المربي عندما يعتمد في عمله التربوي على الإثارة الوجدانية.

وليس في اعتماد المربي على العنصر العاطفي، من حيث هو، كبير أهمية و إنما تكمن الأهمية كلها في القدرة على تكوين مزيج متكافئ معتدل من هذه الأصول الثلاثة التي هي ينابيع العواطف كلها؛ ذلك لأنه إذا استقل بالتأثير أحد هذه الأصول أو كانت له الغلبة على سواه، أصبح مصدر سوء وسبب هلاك، ولم يبق فيه للأهداف التربوية أي جدوى.

فسَوق المُربي لتلميذه بعصا الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه، ودفعه بعامل الفرح أو الرغبة وحدها سبب خطير لإفساده، وملء إحساسه بمشاعر التقديس والإعجاب وحدها دون أن يستغل ذلك لتوجيه يعتمد على شيء من الترغيب والترهيب لا يحرك فيه ساكنًا

(١) منهج تربوي فريد في القرآن الكريم – د/ محمد سعيد رمضان البوطي

ولا يغير اعوجاجًا، و إنما يصلح سبيل التربية إذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها، وما فسدت المعالجات التربوية ولا تخلفت عن إعطاء ثمارها المرجوة على الأغلب إلا لفقد هذا المزيج المعتدل.

وكتاب الله تعالى يجذب أفئدة الناس بقوة وجدانية (بعد المحاكمة العقلية والعرض المنطقي) مكونة من هذه الأصول الثلاثة في اعتدال وتكافؤ دائمين؛ فأنت لا تجد فيه آية تسلم الإنسان إلى رهبة مجردة، أو تمنيه ببشارة صافية عن شائبة الخوف؛ بل إن من القواعد الكلية في كتاب الله تعالى أنه لا يذكّر الإنسان بشيء من صفات السطوة والانتقام لله تعالى، إلا و يذكّره إلى جانبها بصفات الرحمة والغفران، ولا يحدثه عن شيء من صفات الجنة وما فيها من نعيم، إلا و يحدثه إلى جانبها عن جهنم وما فيها من مظاهر التعذيب، ومهما بحثت في كتاب الله تعالى فلن تقف على أي شذوذ لهذه القاعدة، ولن تقف على نص يتضمن وصف إحدى هاتين الصورتين إلا و إلى جانبه وصف مقابل للصورة الأخرى.

انظر إلى قوله عز وجل:

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]

بل انظر إلى قوله تعالى:

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن

يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

وانظر إلى هذه الآيات الأخرى، كيف يصف الشطر الأول منها عذاب الله تعالى يوم القيامة للكافرين، وكيف يصف الشطر الثاني منها بالمقابل رحمة الله تعالى ونعيم الجنة لعباده الصالحين:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ
فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ
حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن
نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٢١ - ٣٧].

وفائدة الالتزام بهذه القاعدة أن الإنسان يبقى بين جانبي الرغبة والرهبة دون أن يطغى أحدهما على الآخر: لا يشتد في نفسه الأمل في رحمة الله عز وجل إلى درجة تقعده عن الواجبات والتكاليف المنوطة به، ولا يشتد فيها عوامل الخوف والرهبة إلى درجة تصرفه أيضًا عن القيام بواجباته، يأسا منه و يقينا بأنه سعي غير ذي جدوى وأنه غير مقبول عند الله عز وجل.

وكل تربية من المربي مهما كان نوعها للتلميذ أو الطفل مهما كان شأنه، لا تنهض بشكل سليم إلا على كل من هاتين الدعامتين معًا «الرغبة والرهبة»[1].

(١) المصدر السابق صـ ٨٢ : ٨٧

وبعد أن استعرضنا منهج القرآن التربوي، وكيف أنه مصدر أصيل وثري بل هو المصدر الأول للتربية الإسلامية؛ ندعو علماءنًا وباحثينا للأخذ من هذا المنهل العذب والمعين الصافي من مصدر ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]

ثانيًا: السنة النبوية: والمصدر الثاني للتربية الإسلامية هو السنة النبوية الشريفة، ولقد أكد النبي ﷺ على أهمية السنة النبوية فقال: «ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه»[١] فالسنة هي التطبيق العملي للقرآن، وهي سجل حافل لحياة النبي ﷺ وجهاده في سبيل دعوته، ولا يستغني أي مربٍّ عنها فجميع المربين ينهلون من معين السنة العذب - فيروون ويرتون - فإنه مما لا يختلف عليه اثنان أن القدوة من أهم وأنجح وسائل التربية، وهل يجد المربون قدوة أفضل من سيد الخلق محمد ﷺ ؟[٢]

ثالثًا: حياة الرعيل الأول: والمصدر الثالث هو النموذج الذي تربى على يد النبي ﷺ، وفي مدرسته.

هؤلاء الرجال الذين عبر عنهم النبي ﷺ بأنهم خير القرون، فهم ألصق الناس وأقربهم إلى رسول الله ﷺ، وأعرفهم بهديه ﷺ، وفيهم يقول ربنا عز وجل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) رواه أبو داود الترمذي

(٢) من أراد التفصيل فليرجع لكتاب منهج التربية النبوية للطفل أ/ محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

وما زال شباب الإسلام في كل عصر يستقون من معين فضائلهم، ويستضيئون بنور مكارمهم، وينهجون في التربية نهجهم، ويسيرون في بناء المجد سيرهم.

وصدق رسول الله ﷺ القائل: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[(١)].

فالصحابة كما أجمع العلماء كلهم عدول؛ فبأيهم اقتدى المسلم اهتدى[(٢)].

رابعًا: الكون: المصدر الرابع من مصادر التربية هو كتاب الله المنظور - الكون بكل كواكبه ونجومه، أشجاره وأنهاره، الرياح والبحار والجبال - فالقرآن الكريم حينما تحدث عن هذه الأشياء سماها آيات ودلائل ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

ولقد أمرنا المولى سبحانه وتعالى بالنظر والتدبر في هذه الآيات

(١) رواه البيهقي والديلمي وهو حديث سنده ضعيف إلا أن معناه صحيح

(٢) من أراد التفصيل فليرجع إلى حياة الصحابة للكاندهلوي، صور من حياة الصحابة - أ/ عبد الرحمن رأفت الباشا

لأخذ العبرة والعظة، ويأخذ منها المربون المثل، ومنها نتعرف على صفات الله سبحانه..

سنشاهد الحكمة في كل مخلوقات الله.. تشهد أنها من صنع الحكيم.

سنشاهد القوة في كل مخلوقات الله.. تشهد أنه القوى.

سنشاهد الصورة البديعة في كل مخلوقات الله.. تشهد أنه المصور البديع.

سنشاهد الحياة فى كثير من مخلوقات الله.. تشهد أنه المحي المميت. وهكذا..

والإنسان نفسه آية من آيات الله ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

وهو من وجهة نظر التربية الإسلامية خليفة الله والكون كله مسخر له.

هذه هي مصادر تربيتنا الإسلامية: كتاب الله المقروء، وسنة النبي ﷺ، وحياة الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، وكتاب الله المنظور «الكون».

إذن فلماذا لا تتضمن مناهج العلوم هذا الربط الجميل بين كتاب الله المقروء وكتابه المنظور بغير تكلف ولا تعسف؛ مما يساعد على تدعيم وإرساء قواعد الإيمان في نفوس الطلاب والناشئة[1].

---

(١) التوحيد – عبد المجيد الزنداني – ج١ - صـ١٨، ١٩ - ط٢ – دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٩٨٦

المبحث الثالث:
خصائص التربية الإسلامية

قول تربوي:

«لا يدري كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة إلا أنه مستتر بثياب الصبا فلو كُشف لنا عنه وهو كامن تحتها لرأيناه واقفًا في مصاف الرجال القوامين، لكن جرت سنة الله أن لا يتفق زوال تلك الأستار إلا بالتربية شيئًا فشيئًا ولا تؤخذ إلا بالسياسات الجيدة على وجه من التدريج».

(الشيخ/ محمد الخضر حسين - السعادة العظمى ص٩٠)

للتربيــة عمومًــا خصائص تمتــاز بها عــن غيرها تســتمدها من واقــع علاقاتهــا المختلفة بالأفــراد والمجتمع، وللتربية الإســلامية خصوصياتهــا الفريدة التي تمتــاز بها عن التربيــة بوجه عام، هذه التربية التي جاءت من عند الله ووفق منهج الله وكان مربيها الأول ســيدنا محمد ﷺ والذي قــال فيه الدكتور «ســيزك» - عميد كلية الحقــوق جامعة فيينــا - في مؤتمر عالمي عام ١٩٢٧: (إن البشــرية لتفخر بانتســاب رجل كمحمــد إليها؛ فإنه على أميته اســتطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إليه بعد ألفي عام)[١].

فمن خصائص التربية عمومًا: أنها:

١ – عملية إنسانية:

فمجــال التربية هو الإنســان نفســه؛ فالمربي إنســان والمتربي إنســان والتربية هي نتاج التفاعل بينهما وبين المجتمع الإنســاني، وقد يسأل سائل: هل نطلق على المهارات التي يتعلمها الحيوان عن طريــق التعليم أو التدريب تربية؟ نقول لا؛ لأنها ليســت جزءًا من ثقافــة، وكذلك لا يســتطيع الحيوان نقلها من جيــل لآخر؛ فالتربية

(١) أضواء على التربية الإسلامية صـ٥٥ أ/ على القاضي

خُصت بالإنسان وللإنسان.

٢ - عملية اجتماعية:

الإنسان لا يستطيع أن يحيا وحيدًا منعزلًا عن مجتمعه، وكذلك لا يستطيع أن يتربى الفرد بمعزل عن الناس كافة، وإنما التربية السليمة أن يتربى الإنسان وسط مجموعة، يتفاعل بعضها مع البعض؛ فيكتسب كل منهم خبرات الآخرين ويعطيهم خبرته، ويسهم كل منهم بدور إيجابي في المجتمع الذي يعيش فيه.

٣ - عملية مستمرة:

تختلف التربية عن التعليم في كونها عملية مستمرة؛ فالتعليم ينتهي بعد فترة معينة، قد تكون المرحلة الجامعية أو الدراسات العليا، أما التربية فإنها تستمر باستمرار حياة الفرد، ولا تنتهي إلا بوفاته، باعتبارها اكتساب خبرات وثقافة وأخلاق.. الخ، والإنسان مستمر في اكتساب هذه الخبرات طالما كان على قيد الحياة.

٤ - التربية عملية نشاط:

فالتربية لا تُورّث وإنما تكتسب نتيجة تفاعل الفرد مع غيره ومع البيئة المحيطة به، ولا بد من أن ينشط الفرد لتحصيل هذه الخبرات والقيم، وكلما نشط الفرد للحصول على الخبرة كلما زاد عمق هذه الخبرة وكان أثرها أقوى على سلوكه.

٥ – التربية عملية نمو:

تهـدف التربية إلـى نمو الفرد نمـوًا متكاملًا فـي كافة جوانبه الشـخصية جسـميًا، عقليًا، روحيًـا، وجدانيًا، أخلاقيًـا، اجتماعيًا، وجماليًا، وتهدف كذلك إلى تنمية قدراته واستغلال طاقاته ليخدم نفسه ووطنه ومجتمعه.

ومن خصائص التربية الإسـلامية التي تنفرد بها وتسـتمدها من الإسلام نفسه ما يلي:

أولًا: الربانية:

والربانية لغة منسـوبة إلى الرب مع زيـادة ألف ونون، ويطلق على الإنسـان أنـه (رباني) إذا كان وثيـق الصلة باللـه عالمًا بدينه وكتابه معلمًا له.

والمقصود بالربانية أمران[١].

١) ربانية الغاية والوجهة ٢) ربانية المصدر والمنهج

فأما ربانية الغاية والوجهة فتعني أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسـن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية التربية الإسلامية.. بجانب بعض الأهداف والغايـات الأخرى، أهداف إنسـانية، أهـداف اجتماعية، أهداف علميـة، ولكن عنـد التأمل نجد هذه الأهداف فـي الحقيقة خادمة

(١) الخصائص العامة للإسلام د/ القرضاوي – ص٧ – ط٣ – مكتبة وهبة

للهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى وحسن مثوبته؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ولما كانت الربانية إحدى الخصائص الرئيسة للتربية الإسلامية نجدها تحرص على غرس هذه الصفة في نفوس مريديها، فهي تعتبر الغذاء الروحي للفرد؛ فكما أن الفرد حينما يهمل الغذاء المادي يتعرض للهزال أو المرض أو الموت؛ فكذلك حين يُهمل الغذاء الروحي فإنه يتعرض إلى موت قلبه والعياذ بالله.

والبيت والمدرسة وكافة ميادين التربية الأخرى مسئولة عن تربية أبنائها وبناتها على معاني الربانية؛ فالمدرسة التي لا تغرس الإيمان في النفوس تُخرّج أجيالًا حائرة، لا تدري من أين جاءت وإلى أين تذهب، وما الهدف من مجيئها.

وأما ربانية المصدر والمنهج فالمعنى أن المنهج الذي رسمه المولى سبحانه للوصول إلى غاياته وأهدافه منهج رباني خالص؛ لأن مصدره من عند الله سبحانه وتعالى (قرآن وسنة).

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]... وإذا رُبي الأولاد على هذا المنهج فإنه يعصمهم من التناقض والتطرف، فطبيعة البشر أنهم مختلفون، يختلفون من عصر إلى عصر، ومن قطر إلى قطر، ومن زمن إلى زمن... الخ، أما منهج رب

البشـر فلا اختلاف فيه، ولا إفراط أو تفريط؛ فينشأ الجيل متوازنا وسـطيًا، وكذلك يعصمهم مـن التحيز والهـوى، ويجعلهم يتحلون دائمًـا بالحكـم العـادل المنصف؛ فمنهـج الله لا تحكمـه الأهواء والنزعات؛ لأنه منزه عن الأهواء والنزعات.

ثانيًا: الشمولية والتكامل:

الشـمول من الخصائص التي تتميز بها الشـريعة الإسلامية عن كل ما سواها من أديان وفلسفات ومذاهب:

«إنها الرسالة التي امتدت طولًا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًـا حتـى انتظمت آفاق الأمـم، وامتدت عمقًا حتى اسـتوعبت شئون الدنيا والآخرة»[1] فهي رسالة لكل الأزمنة والأجيال؛ فمحمد ﷺ هـو خاتم النبيين، ورسـالته هي رسـالة الخلود التـي قدّر الله بقاءها إلى قيام الساعة.

وهـي رسـالة إلى العالـم أجمـع، وتخاطـب جميع الأمـم وكل الأجناس وكافة الشعوب والطبقات ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وهي رسالة تُعنى بكافة الجوانب الإنسانية، فليست رسالة لعقل الإنسـان دون روحـه، ولا لروحه دون جسـده، ولا لأفـكاره دون وجدانه... الخ.

---

(١) مجموعة الرسائل – الشيخ/ حسن البنا

فالإنسان – في نظرها – كيان واحد فيه الروح والعقل، الجسد، الضمير، الإرادة والوجدان...الخ.

ولذا نجد الشمولية في التربية الإسلامية؛ فهي تقدم للإنسان ما يفيده في الحياتين الدنيا والآخرة، ولقد فهم الإمام «أبو حامد الغزالي» هذه الشمولية وهذا التكامل، فإذا هو ينصح المعلم المتخصص في فرع من فروع المعرفة عدم الاستخفاف أمام الطلبة بفروع العلم الأخرى؛ حتى لا يحصر المعرفة في علمه فقط دون الباقين.

كما أننا نلحظ الشمولية في كل شيء: العقيدة، العبادات، الأخلاق؛ فلا يقر الإسلام في التربية الإسلامية العناية بالعبادات والشعائر و إهمال جانب الأخلاق والفضائل، كما لا يجوز العكس، ولا يجوز في نظر الإسلام أن نربي أبناءنا على العقيدة والعبادة والأخلاق، ونهمل ونغفل جانب الشر يعة التي نظم الله بها حياة الخلق، فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: آية ٤٥].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ونحذر دعاة التجزئة بقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ

ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

ثالثًا: التوازن أو الوسطية:

ونقصد بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين؛ بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير و يطرد الطرف الآخر، و بحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه و يطغى على مقابله و يحيف عليه(١)؛ فالله سبحانه وتعالى يشير لهذه الخصوصية بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إذن فالإنسان كائن متوازن ماديًا وروحيًا، والإنسان بالعنصر الطيني المادي قادر على إعمار الأرض والسعي فيها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]

وبعنصره الروحي السماوي مهيأ للتحليق في أفق أعلى، متطلعًا إلى عالم أفضل وأرقى، إلى حياة خير وأبقى، والتربية الإسلامية تربية متوازنة؛ فهي لا تهتم بجانب على حساب آخر، ولكنها تعطي كلا القدر الذي يستحقه من الرعاية، وكذلك توازن بين العلم والعمل؛ فهي تعرّف الولد أركان الصلاة ولا تكتفي بذلك بل تأمره بأدائها في أوقاتها والمحافظة عليها.

(١) الخصائص العامة للإسلام . د/ القرضاوي – ص ١١٤ – ط٣

ومن مظاهر الوسطية في التربية الإسلامية:

١ - وسطية الاعتقاد[١]:

فهي وسط بين الخرافيين الذين يعتقدون بكل شيء دون دليل أو برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس فلا يستمعون لصوت الفطرة، ولا لنداء العقل، ولا لصوت المعجزة، وهي وسط بين الملاحدة الذين يقولون «لا إله» وبين متعددي الآلهة.

هذه العقيدة شعارها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

وهي وسط بين الذين يؤلهون الفرد، وبين الذين يهونون من شأنه كأنه دمية يحركها المجتمع، وبين الذين كذبوا الرسل وبين الذين رفعوهم إلى رتبة الآلهة، وبين الذين يؤمنون بالعقل وحده وبين الذين يؤمنون بالوحي والإلهام وحدهما.. الخ.

٢ - وسطية العبادة والشعائر[٢]:

فالتربية الإسلامية وسط في عباداتها وشعائرها، فلم تطلب من المرء أن ينقطع للعبادة والصلاة فحسب، بل كلفته بأداء شعائر محددة في اليوم كالصلاة، وفي السَنة كالصوم، وفي العمر كالحج؛ ليظل دائم الصلة بالله، ثم تأمره بعد ذلك بالسعي في الأرض ليعمرها، ويأكل من خيرها ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

---

(١) الخصائص العامة للإسلام - د/ القرضاوي - ص ١٢١ - ط٣

(٢) المصدر السابق ص١٢٣

٣ - وسطية في الأخلاق[١]:

فالتربيــة الإســلامية لا تفتــرض فــي الإنســان أنه مــلاك - كما افترض المثاليون - لا يخطئ أبدًا، كما أنها لا تفترض فيه أنه حيوان أو شـيطان - كما افترض غلاة الواقعيين - يفعل ما يشـاء في سـبيل شـهواته - وإنما افترضت فيه أنه يحمـل روحانية الملاك وغريزة الحيـوان، فيه اسـتعداد للفجـور وفيه الاسـتعداد للتقـوى، وعليه فهي تزكـي الجانب الروحاني، وتحجم الجانـب الحيواني بإلزامه بالأخلاق الحسنة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠].

رابعًا: الجمع بين الثبات والمرونة[٢]:

إذا نظرنا إلى الإنســان - الذي هو محور العملية التربوية - نجد فيه عناصر ثابتة باقية لا تتغير ما بقي الإنســان، وعناصر مرنة قابلة للتغير والتطور؛ فإنســان اليوم قد اتسعت مداركه وارتقت معارفه وزادت قوته، واسـتطاع أن يصعد إلى القمـر ويصل إلى المريخ... الخ، ولكـن هل تغير جوهر الإنســان اليوم عن إنســان الأمس عن إنســان ما قبـل التاريخ أو ما بعده؛ فالإنســان منذ عهـد آدم - عليه الســلام - يأكل ويشرب وينام ويحب الخلود ويضعف عزمه أمام نزعات النفس ووسـاوس الشـر، ثم يصحو وينتبه فيرجع ويتوب،

(١) المصدر السابق ص ١٢٤

(٢) المصدر السابق ص١٩٤

فيـه الخير وفيه الشـر، ومنه الخيّـر المؤدب ومنه الشـرير... الخ، هـذا هو شـأن الإنسـان على ظهـر هـذه الأرض، وكذلـك التربية الإسـلامية جاءت لتوافق فطرة الإنسـان فيها الثبات فيما يجب أن يخلـد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور، ففيها الثبات على الأهـداف والغايات والمرونة في الوسـائل والأسـاليب، فيها الثبـات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، وفيها الثبـات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشـئون الدنيوية والعلمية.

خامسًـا: الواقعيـة والمثاليـة: وتعني الواقعيـة مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ووجود مشـاهد، ومراعاة واقع الحياة من حيـث هي مرحلة حافلة بالخير والشـر تنتهي بالموت، وتمهد لحياة أخرى بعد الموت توفى فيها كل نفس ما كسبت وتخلد بمـا عملت، ومراعاة واقع الإنسـان من حيث هـو مخلوق مزدوج الطبيعة؛ فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين، ففيه العنصر السماوي والعنصر الأرضي والتربية الإسلامية تربية واقعية تتعامل مع الإنسان بشقيه الطيني والروحاني، فتأخذه من بدايته، ثم تعمل على إيصاله إلى الكمال الإنساني.

ولقـد راعى المصطفـى ﷺ هذه الحقيقة مـع الصحابي حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحنظلـة وجـد حالته وهو عنـد النبي ﷺ تعلوها الشـفافية الروحانيـة، فإذا انقلب إلى أهله تغيـر الحال فيلاعبهم ويلاطفهم، فرأى هذا نوعًا من أنواع النفاق، فخرج وعلى لسانه: «نافق حنظلة»

حتى انتهى إلى رسـول الله ﷺ فقص عليه ما يحس به: فنجد النبي ﷺ المربي الأول يغرس هذه الحقيقة، و يؤسـس مبدأ الواقعية في التربية الإسـلامية فيقول: «إنكم لو بقيتم على الحال التي تكونون عليهـا عنـدي لصافحتكم الملائكة في الطرقـات، ولكن يا حنظلة سـاعة وسـاعة»[1] فلم يطلب منه النبي ﷺ أن يغلـو في التعبد فلا يبقى له شيء لقلبه، ولا يغلو في اللهو إلى رأسه فلا يبقى شيء لربه.

وواقعيـة التربيـة الإسـلامية تعني تهذيـب ما هـو موجود في الإنسـان من طاقات وقدرات فطرية، فالتربية الإسـلامية لا تنسى نقاط الضعف في بني الإنسـان والكامنة داخله، ولكنها تعمل على تهذيبهـا؛ فالقـرآن الكريم يذكر أن الإنسـان هلـوع جزوع ميال لحب المال ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعـارج: ١٩ - ٢٢] فاسـتثنى المولى سـبحانه أولئـك الذين تربـوا على تعاليم الإسـلام، ونالوا القسـط الوافـر مـن التربيـة الإسـلامية؛ وذلك لأنهـا هذبت هـذه النزعة عندهـم، فالإسـلام لا يدعو إلى تحقيـر المظاهر الماديـة، ولكنه في الوقت نفسـه لا يقدمها على المبـادئ ولا يجعلها محور الحياة، وفي القرآن الكريم أروع الأمثلة على الجمع بين الواقعية والمثالية في التربية الإسلامية.

فنجـد المولى سـبحانه وتعالى يراعـى الطبيعة البشـرية في رد العـدوان بالعدوان فيشـرع القصاص بالمثل، ولكنـه مع ذلك يريد

---

(١) رواه مسلم

رقي الإنسان ومثاليته فيحث على العفو والصبر والمغفرة للمسيء، على أن يكون ذلك تفضلًا منه لا فرضًا عليه فيقول سبحانه:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل:١٢٦].

فالرد بالمثل على العدوان واقعية في الإنسان، أما العفو والصبر والمغفرة مثالية يرغب الإسلام في تحقيقها.

ومن مظاهر الواقعية في التربية الإسلامية مراعاة سنة التدرج؛ فنجد مثلا التدرج في تحريم الخمر تمهيدًا لإلغائه تمامًا.

وكذلك التربية الإسلامية تراعي ذلك؛ فالمربي يطالب الطفل الصغير مثلًا بالصيام إلى الظهر ثم يفطر، وبعد مدة يصوم إلى العصر.. وهكذا حتى نغرس فيه أهمية الصوم قولًا وعملًا وتطبيقًا، ونجد كذلك من مظاهر الواقعية في التربية الإسلامية النزول عن المثل الأعلى إلى الواقع الأدنى، فإذا كان إصلاح عيب في الولد يؤدي إلى عيب أكبر فإنه يكتفي منه بهذا العيب اليسير تجنبًا للأسوأ، فنجد القاعدة الشرعية تقول: «الضرر لا يزال بالضرر»، «الضرر الأدنى لا يزال بالضرر الأعلى» ومن مظاهر واقعية التربية الإسلامية كذلك مراعاة ظروف الأفراد الطارئة فنجد التيسير ورفع الحرج عن المسلم في كثير من المواقف منها المرض والسفر، الإكراه، الخطأ، النسيان، عموم البلوى، ولكل منها أحكام

فصلتها الشريعة الإسلامية السمحة.

وكذلك من مظاهر الواقعية في التربية الإسلامية عرض الحقائق بطريقة تلائم طبيعة الإنسان وإعفاؤه من التفكير في القضايا التي لا يستطيع أن يبحثها عقله المحدود ولقد حث النبي ﷺ المؤمنين بالتفكر في صفات الله ليتمثلوا منها قدر المستطاع ويتركوا التفكير في ذات الله سبحانه؛ فإن ذلك أمر لا تحتمله عقولهم.

هذه هي التربية الإسلامية المنبثقة من تعاليم الإسلام، لا تكلف الناس شططًا ولا ترهقهم عسرًا، تحاول أن ترقى بطلابها ليصعدوا ويرتفعوا، ولكنها لا تهملهم إذا هبطوا كالطبيب يريد الصحة والقوة للناس ولكنه لا يتركهم إذا مرضوا، وإنما يبادر لعلاجهم ويساعدهم حتى يشفوا وينهضوا.

إنه منهج الفطرة، منهج الله الذي يتعانق فيه الواقع والمثال.

سادسًا: العالمية:

لم يأت القرآن الكريم - المصدر الرئيس للتربية الإسلامية- بتوجيهات خاصة لقريش وحدها وللعرب فقط، وإنما جاء إلى العالم أجمع؛ ولذا فالتربية الإسلامية تربية عالمية، وأهدافها صالحة لجميع الناس في جميع الأماكن والأزمان؛ فعلى القائمين على العملية التربوية أن يقدموا لسائر المجتمعات البشرية النموذج الأمثل الذي يمكن الاقتداء به، والتربية الإسلامية لا تخشى المواجهة والمقارنة مع النظريات التربوية الوضعية؛ لأنها

من لدن رب العالمين القائل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

سابعًا: المنهج العلمي:

تهتم التربية الإسلامية بالمنهج العلمي والاعتماد على العقل؛ فلا صراع بين الدين والعقل في إسلامنا الحنيف، والمنهج العلمي في الإسلام يقوم على ركيزتين أساسيتين:

١. إطلاق العقل ليعمل في الكون كله.

٢. فهم أن الكون محكوم بقوانين ربانية وهي السنن الكونية.

والإسلام يحارب التقليد وينعى على المقلدين ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

كما يدعو إلى الفهم والتدبر واستخدام العقل، وعلى هذا يجب أن نربي أولادنا وبناتنا أن أردنا أن نستعيد دفة الأمور ويعود إلينا – نحن المسلمين – دور القيادة في العالم، كما قال الفيلسوف الألماني «اسنالد شينجلر»: «للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة حديثة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام الذي يملك اليوم أقوى روحانية عالمية»(١).

وحينما تعمق التربية الإسلامية في نفوس الناس فإنها بذلك تضعهم على بداية الطريق ومعهم النبراس الذي يهتدون به.

(١) أضواء على التربية الإسلامية صـ١٦

ثامنًا: المساواة:

من خصائص التربية الإسلامية أنها ترد البشر جميعهم إلى أصل واحد - فلا عصبية ولا تفرقة من أجل لون أو جنس أو دين أو لغة – فهي رسالة إلى البشر كافة أسودهم وأبيضهم، سيدهم وخادمهم، لا فرق بينهم إلا بالتقوى، وعلى هذا يسير رواد التربية الأوائل ومن بعدهم على غرس هذه الخصوصية في نفوس الناس، دليلهم في ذلك قوله ﷺ: (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى[1]) وما أحسن ما قاله المؤرخ الإنجليزي «توماس كارليك» الأستاذ بجامعة « كامبردج»: «وفي الإسلام صفة أراها أشرف الصفات وأعظمها وهي المساواة بين الناس وهذا يدل على صدق النظرة وصواب الرأي»[2].

إننا بعد سرد كل تلك الخصائص للتربية الإسلامية التي تميزها عن أي فلسفة بشرية أخرى لا نملك إلا أن نردد قول الدكتور «هوكنج» أستاذ الفلسفة بجامعة «هارفارد الأمريكية»: «إني أشعر بأني على حق حين أقرر بأن في الإسلام كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة»[3].

وبعد أن استعرضنا خصائص التربية الإسلامية لا بد لنا من معرفة أهداف هذه التربية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأخرجه الألباني في صحيحه برقم ٣١٣

(٢) المصدر السابق صـ٦٢

(٣) المصدر السابق صـ٦٩

المبحث الرابع:
أهداف التربية الإسلامية

وكل لـــه غرض يســـعى ليـدركه
والحر يجعل إدراك العلا غرضا

قول تربوي:

«فالصبي إذا أُهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذابًا حسودًا سروقًا نمامًا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وإنما يُحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب».

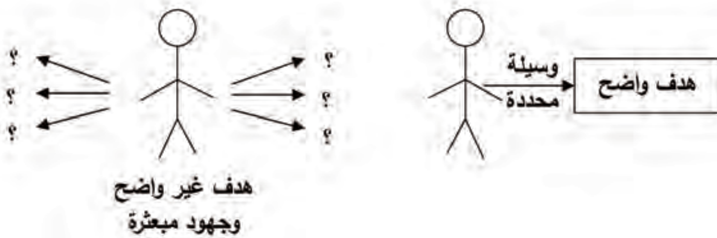
الإمام/ أبو حامد الغزالي

إن تحديد الهدف أمر أساسـي وضـروري في كل عمل يقوم به المرء، وعلى ضوئه يتم وضع الوسائل المؤدية لتحقيقه، و يبدأ العمل فيـه مرحلة بعـد أخرى حتى الوصـول إلى الغايـة وتحقيق الهدف المرسـوم، وما لـم يكن هذا فإن الجهود تتعثـر و يصبح المرء كمن يدور في حلقة مفرغة فيضل و يتثاقل ولا يرغب في العمل.

وحين يتحدد الهدف، و يقتنع به القائمون على تحقيقه، وتُرسـم السـبل والوسائل وتتضافر الجهود؛ فإن التربية حينئذ تؤتى ثمارها، و يعم الخير البلاد والعباد.

وضـوح الهدف يمكنـك من تحديد الوسـيلة الفعّالة التي تؤدي إلى تحقيقه

أما عدم وضوحه فيجعلك كالتائه



وللتربية – عمومًا – في شتى بقاع الأرض أهداف وغايات تحاول أن تصل إليها وتبثها في نفوس أبنائها، وتختلف الأهداف والغايات من مجتمع لآخر؛ فنجد أن أمريكا مثلًا تربى أولادها ليستطيع كل منهم أن يكسب لقمة العيش (تربية لكسب الرزق)، والإنجليز يربون أبناءهم ليكونوا مهذبين (نظرية إعداد المواطن الأصلح)، وفرنسا تعني بالثقافة العقلية (كسب المعارف النظرية).

ولمجتمعنا الإسلامي كذلك أهداف يسعى لتحقيقها كما وضحها القرآن والسنة، والتي تؤدي في نهايتها إلى جعل الإنسان يحقق الغاية التي خلقه الله من أجلها.

وقبل أن نخوض في هذه الأهداف نود أن نوضح مفهوم الهدف التربوي، فالهدف التربوي هو الغاية المقصودة من رسم الخطط التربوية اللازمة لحياة المجتمع، أو المرامي التي تسعى التربية لبلوغها من أجل نفع المجتمع[١].

ولقد صاغ بعض التربويين الإسلاميين غاية التربية الإسلامية بأساليب مختلفة: «هدف التعليم الإسلامي هو تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته، ويعمر الأرض وفق شريعته، ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه[٢].

وحددها أحد المربين المعاصرين بقوله:

«والهدف العام هو تهيئة الفرد والجماعة لتحمل مسئولية

(١) التربية معناها، أهدافها. د/ عفاف هاشم خليل

(٢) من أوراق المؤتمر الإسلامي الأول – مكة المكرمة

الخلافـة على الأرض بعبـادة اللـه، وابتغاء مرضاتـه بالتعرف على أوامره و إتباعها، والتعرف على محظوراته واجتنابها[1]».

بناء شخصية المسلم الذي سيبني المجتمع الإسلامي القوي الكريم، القادر على مواجهة أخطار أعداء الإسلام، والعامل على نشر كلمة الله في الأرض[2]».

ومن أهداف التربية الإسلامية :

١. تكوين العقيدة الصحيحة للإنسان:

- نغـرس الإيمان باللـه وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر والقضاء والقدر في نفوس التلاميذ.
- توثيـق صلة الطالب بالله تعالى، وتنمية شـعوره بمراقبة الله له، وأن الله مطلع عليه في شتى شئونه وتصرفاته.
- تكوين صورة واضحة ومبسطة للتلاميذ عن الإنسان نفسه، عن الكون، قوة الخير والشر.

٢. تعليم العبـادة الصحيحة، فنعلم وندرب الطالب على ممارسـة العبـادة كمـا شـرعها الله - فرائـض كانت أو نوافـل - وعلى المعلم أن يحببهم فيها وفي أدائها ببيان فضلها وثوابها عند الله، مـع تزويده بقدر مناسـب مـن الأحكام الشـرعية يمكنه من خلالها معرفة الحلال والحرام في حياته اليومية.

(١) مدخل إلى التربية الإسلامية صـ ٨٠ - عبد الرحمن صالح عبد الله - ط١

(٢) المصدر السابق صـ٨٠

٣. تعميق صلة الطالب بالقرآن الكريم؛ فنحببهم فيه تلاوة وفهمًا وحفظًا وعملًا وتطبيقًا.

٤. تمتين صلة الطالب بسنة النبي ﷺ القولية والفعلية، ونرسخ فيه حب الرسول ﷺ، والاقتداء به في أقواله وأفعاله، واتخاذه مثلًا أعلى في حياته، واتخاذ سيرة الصحابة والتابعين والعلماء العاملين نماذج بشرية يقتدي بها.

٥. غرس الآداب والقيم الإسلامية الأصيلة في نفوس التلاميذ؛ لتكون أساسًا لسلوكهم لمعرفة الحلال والحرام والصواب والخطأ.

٦. بناء المسلم الذي يؤمن بشمولية النظام الإسلامي ويعتز به، ويدرك أنه أساس تميزه وتميز مجتمعه، وبذلك يرفض الذوبان في المجتمعات الأخرى.

٧. تصحيح صورة الحياة التي تقوم على البدع، وتنقية التعاليم السماوية من الشوائب والمفاهيم الخاطئة.

٨. إدراك ضرورة الجهاد بمفهومه الشامل، وأهميته في حماية أرض الإسلام، وتحريرها من المحتل، وتأمين نشر دعوة الإسلام في ربوع الأرض.

٩. إدراك العلاقة الوثيقة بين العلم والإيمان، وأثرها في تقدم المجتمعات وتطورها، مع إعطاء المتعلم إجابات مقنعة عما وراء الكون والحياة مدعومة بالبراهين العملية كلما أمكن ذلك.

١٠. بث روح التعارف والتعاون بين الناس؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣]. ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ﴾ [المائدة: ٢].

١١. تكوين الطالب المؤمن بالعدل والحرية والشورى والإحسان في العمل، والقادر على تحويل كل هذا إلى حركة في واقعه الأرضي، وبذلك يحقق هدف وجوده في الحياة؛ وهو إعمارها وخلافته فيها.

١٢. تعليم الطالب كيف يبني بيتا مسلمًا ؛ فنعلمه الأسس لاختيار الزوجة، وكيف يتعامل مع زوجته من منطلق الحقوق والواجبات.

١٣. تكوين الطالب المنتمي عربيًا وإسلاميًا، مع تبصير الطالب باستقلالية الأمة الإسلامية في ذاتها، وتميزها في هويتها، وعدم تبعيتها لأي من الأمم والعقائد الأخرى، مع الاهتمام بكافة القضايا الإسلامية، ويكون للتربية الإسلامية دور ريادي فيها.

وبعد أن تبين لنا أهداف هذه التربية الإسلامية آن لنا أن نعرّج على الميادين التي تتم فيها هذه التربية الإسلامية.

المبحث الخامس:

ميادين التربية الإسلامية (المؤسسات التربوية)

يقول الشاعر:

الأم مدرســـة إذا أعـددتـهـا

أعددت شعبًا طيب الأعراق

ويقول آخر:

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة

وقومي وإن ضنوا عليَّ كرام.

هنـاك الكثير مـن المؤسسـات التربويـة التي تعمـل في حقل التربية الإسلامية، وعن طريقها يستطيع القائمون عليها أن يغرسوا فـي نفـوس الأولاد والشـباب الكثير والكثيـر من القيـم التربوية الإسـلامية، ولذا رأينا من المفيد أن نتعرض لها بشـيء من الإيجاز، مـع التركيز علـى دور كل منها في تربية أولادنـا في كافة جوانب شخصيته.

أولًا: البيت (الأسرة):

الأسـرة هي وحدة بناء المجتمع وهي اللبنـة الأولى فيه، وتعتبر الأسـرة المحضـن الأول والمؤسسـة التربويـة الأولـى فـي حيـاة الإنسان؛ ففيها يتلقى الطفل أول نسمة من نسمات الحب التي ينفتح لها قلبـه الصغير من صـدر الأم الدافـئ، وبين ذراعيهـا الحانيتين يحـس بالأمن والراحة، ويفتح عينيه مطمئنًا إلى عالمه الصغير، ثم يكبر قليلًا ويتطلع إلى أبيه وأقاربه.. لذلك يحرص الإسـلام حرصًا شديدًا على كيان الأسرة، ويقيم فكرته كلها - الروحية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية - على تخصيص الأم لمهمتها الخطيرة في تكوين البشرية؛ لأنه يريد للناس أن ينشأوا متوازنين..

ولكـن المدنية الحديثـة الحمقاء - التي أطار صوابها الكسـب المـادي والإنتـاج الآلي - قد نزعـت الأم من طفلها المتشـبث بها،

المتطلع إليها؛ لتضعها في المصنع والمتجر والطريق، وسمّت ذلك تحريرًا للمرأة، ولا جرم أن يكون ذلك تحريرًا للبشرية من عنصر الإنسانية، والمحاضن التي يُلهون بها الأطفال لن تكون إلا منابت الشوك الذي يمزق غدًا أجيال البشرية.

ويتلخص الدور التربوي للأسرة فيما يلي:

١. ينال الفرد فيها أول مقومات النمو الجسمي والصحي.

٢. ينال فيها الفرد المبادئ الأساسية للإسلام، ولنا في وصية لقمان أسوة حسنة:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩) ﴾ [لقمان: ١٧ : ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾ [طه: ١٣٢].

٣. يتعلم الفرد فيها اللغة والتعبير وطريقة الكلام؛ فالطفل يتكلم لغة أمه، فإن كانت صحيحة فلغته صحيحة.

٤. يستقى منها عاداته وأخلاقه وطباعه؛ فالإنسان مرآه لبيته وبيئته.

٥. يتعلم كافة المعاني السامية، العطف، الحب، التعاون، التضحية، احترام الآخرين، تحمل المسئولية.. الخ.

يقول الرسول ﷺ: «ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[١].

وفي التأكيد على دور الأسرة يقول القابسي: «فمن رغب إلى الله أن يجعل له من ذريته قرة عين، لم يبخل على ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن؛ فلعل الوالد إذا أنفق ماله عليه في تعليمه القرآن أن يكون عمل عملًا يرجى له من تضعيف الأجر فيه»[٢].

وقد أثبت علماء النفس أن ما يلاقيه الطفل من المعاملات في السنوات الأولى سيستمر صداه في نفسه طوال حياته.

ثانيًا: المدرسة:

المدرسة هي مؤسسة تعليمية أنشأها المجتمع لتقوم بدور كبير في تنشئة الصغار تنشئة سلوكية سليمة ليشبوا أفرادًا صالحين، وللمدرسة دور أساسي في التربية الإسلامية؛ حيث يتربى فيها الولد على القيم الإسلامية ويتعلم تعاليم الإسلام الحنيف.

ويبدأ ميدان المدرسة بالروضة (الحضانة) وينتهي بالجامعة بخلاف الدراسات المتخصصة.

ويتلخص الدور التربوي للمدرسة فيما يلي:

١. الاهتمام بنمو الفرد من جميع جوانب شخصيته، عقليًا،

(١) رواه ابن ماجة

(٢) التربية الإسلامية للطفل والمراهق صـ١١٥

جسمانيًا، روحيًا، نفسياَ.. الخ.

٢. تزويد الفرد بالخبرات والمهارات اللازمة لإدماجه في المجتمع، وإعداده ليقوم بدور بنّاء في المجتمع.

٣. تنشئة الولد دينيًا.

٤. تنشئة الولد وطنيًا.

٥. إنجاب جيل من النوابغ والقيادات والموهوبين.

ثالثًا: المجتمع:

المجتمع هو البناء المتكامل الذي يضم الأسر والأفراد، وتعتبر المدرسة هي حلقة الوصل بين البيت والمجتمع الكبير الذي يعيش ويتحرك فيه الإنسان، ويتفاعل فيه مع غيره من الناس، ويؤثر فيهم ويتأثر بهم.

والتربية من خلال المجتمع من أقوى أنواع التربية وأكثرها تأثيرًا في الناس، وأعمقها وأجدرها بالقبول عندهم؛ لما لها من وسائل كثيرة كالصحافة والإذاعة والتليفزيون وغيرها.

وكيف يستقيم دور الأسرة والمدرسة في البناء إذا كان المجتمع يهدم كل ذلك.

فلن يبلغ البنيان يومًا تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فإذا كان المجتمع صالحًا جعل أبناءه صالحين، وإذا أصبح الفرد صالحًا وصار عالمًا فاضلًا فإنه يسهم في رقي مجتمعه ونهضته، ويعمل على إصلاح أفراده وتربيتهم.

والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر هما دعامتان أساسـيتان في القضاء على عوامل الفساد وتهيئة أسباب النجاح للمجتمع، وفي محاربـة الرذيلة ونشـر الفضيلة كي ينهض المجتمـع، ويقوم بهذه المهمة كل مؤمن ومؤمنة.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

رابعًا: المسجد:

المساجد بيوت الله ورياض الجنة وأقدس الأماكن، يستضيف فيها المولى عز وجل المسلمين خمس مرات في اليوم والليلة لأداء الصلوات فيتعارفون ويتحابون، وللمسـجد دور أساسـي فـي العملية التربوية، ولقـد كان المسـجد النبوي مدرسـة التربيـة الإسـلامية الأولى ودار الدولة الإسـلامية الكبرى؛ فهو مقر القيادة ومجلس الشورى وموضع عقد الرايـات، هكذا كان المسـجد مركزًا للإشـعاع الديني ومنتدى للثقافة والتربية.

ومن فوائد التربية في المسجد:(١)

١ - الطهارة النفسية في المسجد:

فعندما يدخل المسـلم بيت الله فإنه يشـعر بالطمأنينة والراحة

(١) المسجد ودوره التعليمي عبر العصور، أ/ عبد الله قاسم الوشلي - دار التوزيع والنشر

النفسية التي تخلصه من كل السلوكيات المنحرفة التي قد اجترحها قبل دخوله لذلك المكان.

فيكون بذلك مهيئًا لاستقبال المعلومات التي تعرض عليه في هذا المكان الطاهر، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «المسجد بيت كل تقي وتكفل الله لمن كان في المسجد بيته بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة»[1].

٢ - انتقاء الكلام:

ففي المسجد ينتقي المسلم أطيب الكلام خشية الوقوع في المعصية وهو في بيت الله، ولهذا عند القيام بالتعليم في المسجد فإننا نحجب الكلمات الموحشة والسوقية وتبقى الكلمات التربوية والإيمانية الإيجابية المؤثرة في سلوكيات المتعلم.

٣ - إضفاء الاحترام في المسجد:

للمسجد مكانة خاصة في نفوس المسلمين، وعند دخوله ينتاب المسلم شعور خاص، وهذا الشعور هو الأدب المطلق في بيت الله تعالى، وعندما يضفي على المتعلم هذا الأدب فإن المسيرة التعليمية والتربوية تأخذ مبدأها الصحيح المحقق للأهداف التعليمية دون وجود عوائق أدبية بين المعلم والمتعلم.

٤ - إحفاف الملائكة ونزول السكينة والرحمة:

كما قال الرسول ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله

(١) رواه الطبراني والبزار بسند صحيح عن أبي الدرداء «رضي الله عنه»

يتلون كتاب الله و يتدارسـونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السـكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

٥ – عدم الغضب وخفض الصوت في المسجد:

من المسـاوئ المتزامنة في العملية التعليمية هي الغضب ورفع الصـوت عند اختلاف وجهات النظر بين المعلـم والمتعلم، وكثيرًا ما يحدث ذلك في مدارسنا وجامعاتنا، لكن هيبة المسجد في نفس المعلم والمتعلم تجعلهما لا يرفعان أصواتهما.

ويتلخص دور المسجد التربوي فيما يلي:

١. فيه يتلقى الأفراد الزاد الكافي من العلوم الشـرعية عن طريق الـدروس، والخطب والمواعـظ، وكذلك المناسـبات الدينية المختلفـة، ويقول أ/ سـعيد حـوى: (إن التربيـة والتعليم في أجواء المسجد لا يعدل بها شيء آخر، وخريجو المساجد غير خريجي غيره في العلم والتقوى والتطبيق والسلوك وغيره)[٢].

٢. وفيـه الثقافة الذاتية عن طريق مكتبة الكتب والشـرائط في المسجد.

٣. وفيـه يُغرس فـي نفـوس النـشء الفضائـل والآداب منـذ نعومة أظفارهم؛ ففي المسجد عليه أن يتحلى بالسكينة والوقار، ويمتنع عن اللغط ورفع الصوت، ويتعلم احترام الآخرين... الخ.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

(٢) التربية الروحية، أ/ سعيد حوى

٤. وللمسجد آثار تربوية اجتماعية تنشأ من التقاء المسلمين بعضهم ببعض، وقيامهم إلى الصلاة ووقوفهم في صفوف منتظمة؛ فيتعلمون النظام والدقة والاستواء.

فتصقل شخصية المسلم، ويزول عنها ما يحتمل أن يكون قد علق بها من عيوب اجتماعية كالانعزالية والتواكلية والأنانية ... الخ.

ويتحدث الأستاذ/ عبد الله قاسم عن المسجد النموذجي في عصرنا الحالي فيقول[1]:

والمسجد النموذجي هو الذي تجتمع فيه الخصال الآتية:

١. أن يكون بناؤه محكمًا تتوفر فيه الإضاءة الجيدة والتهوية، وأن يلحق به مكان للنساء، وأن تتكامل مرافقه الضرورية للنظافة والطهارة (الحمامات – أماكن الوضوء .. الخ).

٢. أن يلحق به مرافق تربوية وثقافية، وكذلك مرافق اجتماعية لخدمة الأمة والمجتمع مثل:

- مكتبة عامة– مزودة بكل ما هو نافع ومفيد – كتب وشرائط كاسيت وفيديو.
- قاعة مطالعة مؤسسة تأسيسًا لائقًا.
- قاعة محاضرات واجتماعات – دار مناسبات – للعزاء والأفراح.. الخ.
- مصحة تؤسس للخدمات الصحية للعلاج المخفض.

(١) المسجد ودوره التعليمي عبر العصور

- مركز إرشـاد واستشـارة: زراعـي، مهني، وخدمـي، ويُزود بالمتخصصين.
- حديقة حوله ليمرح فيها الأطفال وتربطهم بالمسجد.
- مكان ضيافة للغريب النائي.
- مدرسـة لتحفيظ القرآن للصغار (بنات وبنين)، وكذا لا مانع من فتح فصول تقوية.
- مساكن لطلاب العلم المنقطعين.

٣. أن يوفر له الآتي[1]:

- إمام حافظ لكتاب الله مجيد لتلاوته ليؤم الناس في الصلاة.
- خطيب شجاع عالم.
- مؤذن حسن الصوت.
- رجال يقومون على نظافته.
- تزويـد المستشـفى بالأطبـاء الأكفـاء، وفصـول التقويـة بالمدرسين.

٤. أن يقـوم على إدارتـه مجلس إدارة كفء يسـتطيع تنظيم هذه الأعمال والرقي بها وقيادتها للأحسن دائمًا.

وبهذه الإمكانيات الرائعة للمسـجد يكون له أثره وجاذبيته في نفوس الشباب والفتيات؛ فينجذبون له، وينهلون من معينه الصافي بروحهم، راغبين في تفهم دينهم وإصلاح دنياهم وآخرتهم.

(١) المسجد ودوره التعليمي – عبد الله قاسم الوشلي – ص ٩٤ ، ٩٥

خامسًا: النادي:

لقد كثرت النوادي في عصرنا الحالي نتيجة لكثرة الضغوط النفسية، وحاجة الإنسان إلى مكان يستريح فيه، ويمارس فيه رياضته المفضلة.

وللنادي دوره في التربية الجسمية للنشء، وعن طريقه يستطيع النشء أن يتعلم الكثير من الأخلاق الإسلامية عن طريق الألعاب الرياضية، وكذلك يمكن افتتاح فصول لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية لرواد النادي وأبنائهم؛ وبذلك يكون للنادي دوره في التربية الروحية والجسمية للأولاد.

كذلك عن طريق المناسبات الدينية المختلفة يستطيع النادي أن يقدم الدروس والعبر الدينية المستفادة من هذا المناسبات، كما أنه من الممكن أن ينظم العديد من المسابقات في القرآن الكريم، الحديث الشريف، البحوث المختلفة مع تقديم جوائز رمزية.

سادسًا: الرفاق:

تتم العملية التربوية بين الأصدقاء بطريق غير مباشر وغير مقصود.

فلتقارب السن بين الرفقاء يكسب كل منهم الصفات والأخلاق (سلبًا أو إيجابًا) بعضهم من بعض، ولذا نجد الإسلام عني بهذه الصلات التي تربط الفرد بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به؛ فنجد القرآن يركز على هذا المعنى فيقول: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ

﴿يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٧ -٢٩]

ويقول الرسول ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

وكما يُقال: «الطبع من الطبع يسرق» وما أسرع تخلق الإنسان بخلق صاحبه؛ فعلى الآباء والمربين أن يتخيروا لأبنائهم الأصحاب الأتقياء الذين يؤثرون فيهم بالخير.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

سابعًا: الجمعيات:

تعتبر الجمعيات الأهلية ميدان هام من ميادين التربية، وقد تتنوع هذه الجمعيات تبعًا للهدف الذي من أجله أنشئت؛ فهذه جمعية رياضية وأخرى ثقافية وثالثة اجتماعية ورابعة خيرية.. الخ).

وهذه الجمعيات تستطيع أن تسهم بدور فعّال في عملية التربية الإسلامية عن طريق ربط أهدافها وأنشطتها بالإسلام، والتزام المسئولين عنها بالدين الصحيح؛ فيصبحون قدوة لسائر من يتردد على هذه الجمعية.

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

ثامنًا: الكشافة والجوالة:

وفيها يتلقى الولد الكثير من المبادئ الإسلامية كالانضباط والنظام وضبط الموعد والسمع والطاعة والجندية، كما أن فيها ترفيهًا بريئًا يقضي فيه الطالب وقتًا نافعًا مفيدًا بجانب الترويح النفسي، وحبذا لو أنشئ في كل مدرسة عشيرة للجوالة أو الكشافة ينتمي إليها طلاب المدرسة.

وبعد أن طوّفنا بالميادين التي تتم فيها التربية لا بد لنا من معرفة مجالات التربية الإسلامية.



المبحث السادس:
مجالات التربية الإسلامية

صورة تربوية (الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد):

«عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض علينا من الأنصار فيلحق من أدرك منهم، فعرضت عامًا فألحق غلامًا وردني، فقلت يا رسول الله ﷺ : لقد ألحقته ورددتني ولو صارعته لصرعته، قال فصارعته فصرعته فألحقني».

(قال الحاكم صحيح الإسناد)

كما قلنا من قبل إن التربية الإسلامية تُعنى بكل جوانب الإنسان الروحية، العقلية، الجسـمية، ثم تتجاوز ذلك إلى تهذيب انفعالاته وعواطفه، وتهتم بمشـاعره وأحاسيسـه، وتحدد علاقته بغيره على أسس سليمة.

وهذا ما نفعله فيما يلي:

١ – التربية الروحية (الإيمانية):

والتربيـة الروحيـة أو الإيمانيـة أرفع أقسـام التربيـة وأكثرها أهمية، وبقدر حصول الإنسـان على هذا النوع مـن التربية يرتفع شأنه وتسمو نفسه، والنظم المادية التي تغفل عن هذه التربية تحط من شأن الإنسان وتخفض من قدره.

ويقصد بالتربية الروحية تهذيب النفس وسمو الإنسان وتحليه بالفضائـل، وربطـه منـذ صغره بأصـول الإيمان وأركان الإسـلام، ويكون ذلك بالعقيدة والعبادات والأخلاق الحميدة.

وعماد التربية الروحية هـو القلب الحي، الموصول بالله تبارك وتعالى، الموقن بلقائه وحسابه، الراجي رحمته، الخائف من عقابه.

وهـذه التربية الروحية مصدرهـا كتاب الله عز وجل، ويوضح ذلك قول الحبيب ﷺ:

«إن القـرآن يأتـي أهله يوم القيامة أحوج مـا كانوا إليه. فيقول للمسلم: أتعرفني؟

فيقول: من أنت؟

فيقـول: أنـا الذي كنت تحـب وتكـره أن يفارقـك.. الذي كان يشجيك ويذيبك

فيقول: لعلك القرآن.

فيتقـدم بـه على ربـه عز وجـل فيعطى الملـك بيمينـه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه السـكينة، وينشر على أبويه حلتان لا تقوم لهما الدنيا أضعافا - أي لا تساويهما - فيقولان:

لأي شـيء كُسـينا هذا.. ولم تبلغـه أعمالنا؟ فيقـول: هذا بأخذ ولدكما القرآن»[1]

٢ - التربية العقلية:

المقصـود بالتربيـة العقلية تكوين فكر الولد بـكل ما هو نافع من العلوم الشـرعية والثقافة العلمية والعصرية والتوعية الفكرية والحضارية؛ حتى ينضج الولد فكريًا ويُكوَّن علميًا وثقافيًا.

ولقد اهتم الإسـلام بهذا الجانـب؛ فكان أول ما نزل من القرآن:

(١) جمع الجوامع وجاء في الهامش قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ - ١٢٠: وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك وأثنى عليه هيثم خيرا وبقية رجاله ثقات. نقلا عن كتاب تربية النشء في ظل الإسلام للدكتور/ محمود محمد عمارة - من سلسلة دعوة الحق - العدد ٢٦

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وحثَّ الإسلام على طلب العلم وذكر في ذلك الكثير والكثير.

ولتنمية عادة القراءة لدى الأطفال لا بد من ملاحظة **المراحل المختلفة لسلوك الأطفال نحو الكتب وهي كالآتي**[(١)]:

أ- مرحلة الإشارة إلى الصور: من بداية الشهر الخامس عشر من عمر الطفل، وينشأ لدى الصغير اهتمام شديد بصور الكتب.

وأفضل الكتب لهذا السن هي المصنوعة من صحائف القماش، أو أي مادة تقوى على تحمل ما يوجهه الطفل إليها من ضربٍ ولَكْم، وكذلك الكتب التي تقترب في شكلها من الألعاب.

ب- مرحلة تسمية الأشياء: من بداية الشهر الثامن عشر، يبدأ الطفل في استعمال كلمات نابعة من نفسه مع الصور، وهذا يعاونه على زيادة حصيلته اللغوية.

ج- مرحلة حب القصص القصيرة البسيطة: تبدأ بعد تمام عامين من عمر الطفل وتمتد إلى ثلاث سنوات، وفيها يسمي الطفل عملية النظر إلى الكتاب (قراءة)، ويستمر في حفظ أسماء الصور والأشياء التي بها، كما يحب أن يسمع قصة عن كل صورة، ولا بد من الاهتمام في هذه المرحلة بأن نقرأ للطفل ما في كتبه بصوت مرتفع؛ إننا نثري بذلك ثروته اللغوية، ونشجع محاولاته للتعبير عن نفسه.

---

(١) تنمية عادة القراءة عند الأطفال – أ/ يعقوب الشاروني – سلسلة اقرأ - العدد ٤٨٣

د - مرحلة البحث عن المعاني: وتبدأ بعد عامين ونصف العام أو بعد ثلاث سنوات، وفيها تبدو الصور للطفل وكأنها أشياء حقيقية حية؛ فقد يمد يده ليأخذ شيئًا من صورة، وقد يقبِّل طفلًا في صورة، وقد يصدر أصواتًا تدل على المشاركة الوجدانية.

هـ- مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف: وبعد العام الثالث أو في منتصف العام الرابع من حياة الطفل، يصبح الصغير قادرًا على الاشتراك مع غيره من الأطفال في الاستمتاع بالكتاب، ويأخذ في اكتساب القدرة على تفسير الصور والتعليق عليها، إنه يمكن أن يتوقع حوادث معينة، وأن يقوم بتعليل حادث، كذلك يمكنه الإصغاء إلى عبارات مكتوبة لا تصحبها صور، ويمكن أن يعيد سرد القصص البسيطة جدًا، والتي تساعد الصور الواضحة على سردها.

وفي هذه المرحلة تكون صور الكتب وسيلة هامة وأساسية لإثارة أحاديث متبادلة بين الأطفال والكبار، وتبادل مختلف الموضوعات، وتحفظ النمو العقلي للطفل، مع توسيع مداركه، وزيادة ثروته اللغوية، وهذه كلها أسس مهمة يعتمد عليها تفتح إدراكه العام، ما يترتب عليه من سرعة تقدمه في القراءة في مستقبل أيامه.

و- مرحلة ما بين الرابعة والخامسة من العمر: بعد الرابعة من العمر وإلى الخامسة يجد الطفل متعة في مصاحبة غيره؛ لهذا

تــزداد مهاراته الاجتماعية، وتفوق اهتمامه بالكتب، وفي هذه المرحلـة يجـد الطفل متعة فــي كل ما يثيــر الضحك، خاصة الصــور الهزلية (الكاريكاتير) حتى إذا لم يكن له معنى، مثل: الثعلب فات فات – يا طالع الشــجرة هــات معاك بقرة . كذلك فــإن الطفل في هذا الســن تصبــح لديه القدرة علــى أن يحفظ القصص كلمة كلمة، وتكثر أسئلة الأطفال: لماذا؟ ما سبب؟[١]

٣ – التربية الخُلُقِيَّة:

والمقصــود بها مجموعة المبــادئ الخلقية والفضائل الســلوكية والوجدانية، التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتســبها، ويعتاد عليها منــذ تميزه وتعقله إلــى أن يصبح مكلفًا، إلى أن يبدو شــابًا يخوض خضم الحياة، ومما لاشــك فيه أن تلك الفضائل الكريمة والسلوك الحســن هــو ثمرة مــن ثمرات الإيمــان الراســخ والتنشــئة الدينية الصحيحة.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٢].

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من شــيء يوضــع في الميــزان أثقل من حســن الخلق، وإن

(١) كتاب تنمية عادة القراءة عند الأطفال، أ/ يعقوب الشاروني، صـ ١١ – ١٦ بتصرف

(٢) أخرجه مالك في الموطأ عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[١].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[٢].

إذن فعلى الآباء والمعلمين مسئولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير، وتخليقهم على مبادئ الأخلاق السامية:

- فهم مسئولون عن تنشئة الأولاد على الصدق، الأمانة، الاستقامة، الإيثار، إغاثة الملهوف، احترام الكبير، إكرام الضيف، الإحسان إلى الجار، المحبة للآخرين...
- ومسئولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب، الشتائم، الكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبئ عن فساد الخلق وسوء التربية.
- ومسئولون عن ترَفُّعِهم عن دنايا الأمور وسفاسف العادات وقبائح الأخلاق، وعن كل ما يحط بالمروءة والشرف والعفة.
- ومسئولون عن تعويدهم على المشاعر الإنسانية الكريمة والإحساسات العاطفية النبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين.
- إلى غير ذلك من تلك المسئوليات المتصلة بالتهذيب.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١) أخرجه أبو داود والترمذي - أخرجه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٧٢٦

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

٤ – التربية الجسمية (البدنية):

صحة البدن وسلامته تعين الفرد على القيام بواجباته والتزاماته من عبادة وعمل وسعي.. الخ.

ومن الحكم اليونانية المشهورة: العقل السليم في الجسم السليم.

ولا يستطيع المربي أن ينجح في مهمته إذا لم يعرف النمو الجسمي للطفل وما يحتاج إليه جسمه؛ فإن صحة الأطفال هامة جدًا في التربية، ولقد عُني الإسلام بكل ما يبني الجسم القوي السليم من ألوان التربية البدنية والرياضية؛ فهذا سيدنا «عمر بن الخطاب» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل».

وكان «عروة بن الزبير» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لولده: «يا بني العبوا فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب».

ولقد مدح الإسلام المؤمن القوي، واعتبره أنفع وأفضل عند الله من المؤمن الضعيف، فقال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...»(١).

ويقول ﷺ في حديث آخر: «إن لبدنك عليك حقًا»(٢).

ومن مظاهر التربية الجسمية محاربة كل ما هو ضار بالجسم كالتدخين والمسكرات والمخدرات والعادات الجنسية المذمومة.. الخ.

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

(٢) رواه البخاري عن أبي عبد الله بن عمرو بن العاص «رضي الله عنهما»

٥ - التربية الاجتماعية:

حرص الإسلام على تربية الفرد تربية اجتماعية تجعله ينسجم مع الآخرين ويحسن إليهم ويمتنع عن إيذائهم والعدوان عليهم، ولذا كان ولا بد من تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة وأصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، والشعور الإيماني العميق، وأهم هذه الأصول: تربية الولد على الأخوة، الرحمة، الإيثار، العفو، الجرأة، وتربيته على مراعاة حقوق الآخرين كحقوق والديه، حق الأرحام، حق الجار، حق المعلم، حق الرفيق، حق الكبير، وتربيته على التزام الآداب الاجتماعية كأدب الطعام والشراب، أدب السلام، أدب الاستئذان، أدب المجلس، أدب الحديث، أدب المزاح، أدب التهنئة، أدب عيادة المريض، أدب الطعام، أدب العطاس والتثاؤب.. الخ[١].

وأحب أن أشير إلى أن هذه الآداب لم يعتن بها دين أو عقيدة أو مجتمع كالإسلام كما أن هذه الآداب تدل على أن الإسلام دين اجتماعي جاء لإصلاح المجتمعات الإنسانية لا دينًا فرديًا ولا تشريعًا كهنوتيًا.

٦ - التربية الجمالية[٢]:

لقد فطر الله الناس على حب الزينة والاستمتاع بالجمال، وأحل لهم الزينة وأباح لهم الطيبات من غير تجاوز ولا إسراف، وندبهم

(١) راجع تربية الأولاد في الإسلام جـ١، صـ٣٥٣ لتفصيل هذه الحقوق

(٢) راجع أطفالنا خطة عملية للتربية الجمالية سلوكًا وأخلاقًا للأستاذ / عبد الله محمد عبد المعطي

إلـى التزين عند الذهـاب إلى المسـجد و إقامة الصـلاة واجتماع بعضهم ببعض ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وكان الرسـول ﷺ يحـب الطيـب، فعن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنـت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته(١).

كمـا كان النبـي ﷺ يربـى أصحابه علـى العناية بزينتهم وحسـن مظهرهم، ويقول الإمام أبو حامد الغزالي: (إن الجمال ينقسم إلى جمال الصـورة الظاهرة المدركـة بعين الـرأس، وإلى جمال الصـورة الباطنة المدركـة بعين القلب ونـور البصيرة، والأول يدركـه الصبيان والبهائم، والثاني يختـص بإدراكه أرباب القلـوب.. وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال) ويقول أيضًا (وللإنسان عقل وخمس حواس، ولكل حاسة إدراك، وفي مدركات تلك الحاسـة ما يُستلذ كلذة النظر في المبصرات الجميلـة كالخضـرة والمـاء الجاري والوجه الحسـن، وللشـم الروائح الطيبة، وللذوق الطعوم اللذيذة، وللمس لذة اللين والنعومة والملامسـة، وللعقل لذة العلم والمعرفة، وللسمع الأصوات الحسنة الجميلة..)(٢).

٧ – التربية النفسية:

المقصـود بهـا تربية الولـد منذ أن يعقـل على الجـرأة والصراحة

(١) رواه البخاري، الوبيص: البريق

(٢) نقلا عن كتاب منهج التربية في القرآن والسنة صـ ٤٨ - ٤٩

والشجاعة، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية، والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها؛ حتى يستطيع إذا بلغ سن التكليف أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه وأنبل معنى.

فعلى المربين أن يحرروا أبناءهم وطلابهم من ظاهرة الخجل، الخوف، الشعور بالنقص، الحسد، الغضب، ويغرسوا فيهم الثبات والجرأة، الشجاعة والإقدام، الشعور بالواجب، الإيثار والحب والحلم والأناة.

٨ - التربية الجنسية:

والمقصود بها تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة وتتصل بالزواج؛ حتى إذا شب الولد وترعرع وتفهَّم أمور الحياة عرف ما يحل وما يحرم، وأصبح السلوك الإسلامي المتميز خلقًا له وعادة؛ فلا يجرى وراء شهوة ولا يتخبط في طريق التحلل.

وأرى أن هذه التربية يجب أن يهتم المربون بها ويركزون عليها، وتقوم على المراحل التالية[١]:

- **في سن ما بين (٧ : ١٠) «سن التمييز»**: يلقن الولد فيه آداب الاستئذان وآداب النظر.
- **في سن (١٠ : ١٤) «سن المراهقة»**: يجنب الولد فيه كل

(١) تربية الأولاد في الإسلام جـ٢، صـ ٤٩٩

الاستثارات الجنسية الموجودة بـ (السينما «الخيالة»- التلفاز- المسـرح - المجلات الخليعة... الخ) مع إيجاد البديل الهادف لهذه الأشياء.

- **فـي سـن (١٤ : ١٦) «سـن البلـوغ»**: يعلـم الولد فيـه أحكام البلـوغ[١] و يعلـم كذلـك ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].
- **«سن ما بعد البلوغ»**: يعلم الولد فيه آداب الاتصال الجنسية إذا كان مهيأ للزواج.

كما نركز على أضرار وأخطار الاختلاط بين الجنسين وهم في سـن التمييز والمراهقة في مدارسـنا بحجة أن ذلك يهذب الغريزة ويصـرف كوامن الشـهوة ويجعل اجتمـاع الذكور بالإنـاث أمرًا مألوفًـا وعاديًـا؛ فإنهم بذلـك يفترون علـى الشـرع، ويتجاهلون الفطـرة، ويتجاهلـون الواقـع المريـر الذي آلـت إليـه المدارس المختلفة والجامعات كلها نتيجة تلك البلوى[٢].

وهناك ثلاث وسـائل إيجابيـة ينتهجها المربـون لإصلاح الولد وضبطه جنسيًا:

١. **وسـيلة التوعية**: وفيها يلقن الولد منذ نعومة أظفاره أخطار هذا الفساد الاجتماعي والانحلال الأخلاقي.

---

(١) راجع أحكام البلوغ في المصدر السابق صـ٥٥٠

(٢) راجع تربية الأولاد في الإسلام جـ٢

٢. **وسيلة التحذير:** ففيها نصور للولد حقيقة الأخطار التي تنجم عن الاسترسال في الشهوات والانزلاق في متاهات التحلل والإباحية ومن هذه الأخطار:

- الخطر الصحي: لما قد يصيب من ينغمس في مهاوي الرذيلة من أمراض كالإيدز والزهري والسيلان.
- الخطر النفسي والخلقي: مثل الشذوذ الجنسي ومرض الهوس الجنسي، وعصابات القتل والاغتصاب والمخدرات.
- الخطر الاجتماعي: تهديد الأسرة بالزوال، انتشار المواليد غير الشرعية؛ مما يدفعهم فيما بعد للنقمة على المجتمع وإطلاق الأيدي فيه بالفساد والتخريب.
- الخطر الاقتصادي: فهؤلاء المنغمسون في شهواتهم تضعف قواهم وتقل إنتاجيتهم، ويصبحون عالة على مجتمعهم.
- الخطر الديني والأخروي: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٦٩].

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...»[١].

وحذّر أولادك أخي المربي من اللهو المحرم، ومن التقليد الأعمى لأهل الفساد، ومن رفقاء السوء، ومن مفاسد الأخلاق،

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

وحذرهم من الأخلاق السيئة بصفة عامة.

٣. **وسيلة الربط**: وهي ربط الولد بروابط بالعبادة، وبربط بالرفقة الصالحة، بربطهم بالمسجد والذكر والمراقبة والقرآن الكريم، وبربطهم بالتاريخ والأمجاد وسيرة الأنبياء والصحابة والصالحين.

وأخيرًا يتساءل أ/ «عبد الله ناصح علوان»: هل يجوز مصارحة الولد جنسيًا؟

وتأتي إجابته بنعم مدعمًا إياها بالأدلة الشافية؛ فيذكر آيات كثيرة من القرآن تتحدث عن الاتصال الجنسي وعن الفاحشة وعن المحيض، وكذلك أحاديث للنبي ﷺ يتحدث فيها عن الجماع والبلوغ والمني.. الخ.

وكيف يعرف الولد أحكام البلوغ والمراهقة، ماذا يفعل، ماذا يترك، ما هو الحلال وما هو الحرام؟

هل يذهب إلى أصدقاء - ما هم بأعلم منه - فيصارحهم فيضلونه، أم يأخذه من التلفاز والمجلات الخليعة.. وهل نأمنهم على ذلك؟

إذن لا بد من التحدث والتحدث المباشر الصريح في هذه الأمور.

ولكن أخي المربي: أعط لكل مرحلة من مراحل السن حكمها في التعليم، وليكن عندك أولويات؛ فلا يعقل أن تعلمه كيفية الاتصال الجنسي وهو في سن العاشرة وتهمل أحكام البلوغ.

وعنـد الحديـث عـن هـذه الأشـياء أعـط للحديـث قدسـيته بالاسـتدلال بالآيات والسـنة؛ حتى يكون الولد على دراية بأنه في درس علم وفقه ودين لا في مجلس إباحية.

وحبذا لو يعلّم الوالد أو المربي طلابه الذكور، وأن تتولى تعليم البنت أمها أو معلمتها.

نحن إذن حيال منهج فريد شـامل لتربية الإنسـان كله، جسمه وعقلـه ووجدانه، تربية شـاملة متكاملة؛ فالإنسـان ليس جسـمًا مسـتقلًا بذاته لا علاقة له بالروح أو العقل، وليس عقلًا منفصلًا لا يرتبط بجسم أو روح، وليس روحًا وحدها هائمًا بلا رابط من عقل أو جسم، وإنما هو كيان واحد ممتزج مترابط الأجزاء»[1].

فالإنسـان له طبيعة نفسـية بهـا يحب ويكره وينفعل ويسـر.. ولذلك كانت التربية النفسية والتربية الجمالية.

وله جسـم طيني ذو شـهوات وغرائز وجوانـب مادية كثيرة لم يسـتقذرها الإسـلام، بـل هذبهـا ووظفهـا.. ولذلك كانـت التربية الجسمية والتربية الجنسية.

والإنسـان كائـن اجتماعـي يعيـش مع أسـرته ومجتمعـه، وله علاقاته بهؤلاء وأولئك.. ولذلك كانت التربية الاجتماعية.

والإسـلام لا يهدف من تربية الإنسـان أن يكون حيوانًا يسعى إلـى البقاء والاسـتمرار، ولا يريده راهب علـم أو راهب دين، ولا

(١) منهج التربية الإسلامية صـ٢١

يريده منعزلًا عن مجتمعه، إنما يريده إنسانًا متكاملًا في شخصيته تكاملًا متناسقًا منسجمًا، تكاملًا بين هذه الجوانب كلها.

٨ - التربية المهنية:

ونعني بها اكتشاف مواهب وقدرات الطفل، وتنمية هذه المواهب والقدرات وتوجيهها وتطويرها، فمعلوم أن لكل إنسان مجموعة من القدرات يتميز بها؛ فالله سبحانه زود كل إنسان بمجموعة من القدرات، وجعل لكل إنسان قدرة يتميز بها عن الآخرين ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢]

والنبي ﷺ كان يكتشف قدرات أصحابه وأتباعه، ويوجه هذه القدرات إلى مسارها الصحيح؛ فهذا «خالد بن الوليد» يرسله الرسول ﷺ إلى غزوة مؤتة، وحينما يستشهد القواد الثلاثة يتولى «خالد» القيادة، ويخدع جيش الروم بفكرة مبتكرة وينجو جيش المسلمين البالغ حوالي ثلاثة آلاف مقاتل من هزيمة محققة على يد جيش الروم البالغ مائتي ألف (وقد قال رسول الله ﷺ) يوم مؤتة - مخبرًا بالوحي، قبل أن يأتي إلى الناس الخبر من ساحة القتال -: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»)[١].

(١) صحيح البخاري - غزوة مؤتة من أرض الشام ٢/ ٦١١ نقلًا عن كتاب الرحيق المختوم للمباركفوري - ص٤٣٩ - دار الوفاء

ويوصى ﷺ بأخذ الفرائض عن معاذ بن جبل، وعن مسروق ذكر عبد الله بن عمر عن عبد الله بن مسعود قال: لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب.»[١]

فلكل واحد من الصحابة مهارة معينة، فهذه مهارة حربية، وتلك مهارة سياسية. ولقد برز الصديق ورفيقه الفاروق «عمر بن الخطاب» رضي الله عنهما في القيادة السياسية وأيضا نجد النبي ﷺ يوصي «زيد بن ثابت» رضي الله عنه بتعلم السريانية فتعلمها في أيام معدودات، وهكذا.

يقول «ابن سينا» (ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك)[٢]

فلا بد لنا من اكتشاف قدرات ومواهب أبنائنا وتوجيهها وتطويرها، والسؤال الذي نسمعه من كثير من الآباء والأمهات: ما هي موهبة ابني وكيف أنميها؟

نقول عندما نتعامل مع الابن بأنه مشروع موهبة ستكون القضية في يدنا، فنحن مسؤولون عن الكشف عن موهبته وعن تنميتها؛ فدور الآباء والأمهات هو التعرف على مستوى كل ذكاء عند الابن،

---

(١) رواه البخاري ج٦ – ص١٠٢ ورواه أحمد والترمذي

(٢) مقال من مجلة الوعي الإسلامي للأستاذ/ بهيج بهجت سيكك، صـ١٧، لشهر ذو القعدة ١٤٢٩ هـ الموافق نوفمبر ٢٠٠٨ م – العدد رقم ٥١٩

ومحاولـة تنمية جميع الذكاءات والقدرات، ونسـوق هنا بعض هذه القدرات أو الذكاءات وكيفية اكتشافها لدى الأبناء، فمنها:

١- **الـذكاء اللغـوي**: و يقصـد به الشـغف باللغة تحدثًـا وقراءة وتعلمًا.

من صفـات من يمتلك ذكاء لغو يـا عاليًا: (يكتب بشـكل أفضل من أقرانـه/ يجيـد رواية القصـص والمواقـف اليوميـة/ يسـتمتع بألعاب الكلمات/ يحب القراءة بشكل عام/ يتابع الأخبار و يستمع إلى الراديو/ يسـتطيع هجاء الكلمات الغر يبـة من أول مرة/ يمتلك مهـارة الحوار/ يتذكر أسـماء الأماكن/ يلاحظ العبارات الإرشادية في الأماكن العامة والطرقـات/ يتحدث بجرأة أمام الآخر ين) ما ذُكـر من مهارات الذكاء اللغوي يمكن النظر إليها بأنها تدر يبات لتنمية هذا الذكاء.

٢ - **الـذكاء المنطقـي**: و يقصـد به القـدرة على تحليـل الأمور والاسـتمتاع بذلك و إجراء العمليات الحسـابية (جمـع، طرح...) والمنطقيـة (أكبر، أصغر، أبعد، أقرب، أفضـل...) ومن صفات من يمتلـك ذكاءً منطقيًا عاليًا: (يسـتخدم كيف عند طلـب المعلومة/ يسـتمتع بألعاب الأرقام/ يمارس الألعاب المنطقية و يحب الألغاز والأحاجي/ يحب التصنيف كمجموعات/ يحب إجراء التجارب/ يقوم بالعمليات الحسابية ذهنيًا).

٣ - **الذكاء الإيقاعـي**: و يقصد به امتلاك مهارة التنغيم والتلحين للـكلام، ومـن صفـات مـن يمتلـك ذكاءً إيقاعيًا: (يتذكـر نغمات المسـموعات/ طر يقتـه فـي الـكلام موسـيقية/ يلحن كثيـرًا من

الكلمات الغريبة كالاسم وعنوان المنزل/ يهمهم بلا انتباه/ يتحسس أصوات البيئة أكثر من غيره/ يصنف الأشخاص وفق درجة أصواتهم/ يتأثر بالكلام الملحن كالأناشيد والملاحم الشعرية).

٤ - **الذكاء الحركي**: ويقصد به الاستعداد لتطويع الجسم أو بعضه لتشكيل جديد وتحدي الغير، ومن صفات من يمتلك ذكاء حركيًا: (متفوق في رياضة أو أكثر/ يكثر من الحركة أثناء الجلوس/ يحب التقليد الحركي كتقليد أخوه الأصغر أو الحيوان المنزلي/ يحب لمس ما حوله/ يستمتع بألعاب الصلصال والطين/ يحب فك الأدوات وتجميعها مرة أخرى/ يشارك المهنيين كالسباك والنجار في أداء أعمالهم/ يفضل أن يصدر قراره بحركة جسده كهز الرأس عند الموافقة وتقطيب الجبين عند الغضب).

٥ - **الذكاء الصوري**: ويقصد به القدرة على تكوين صورة دقيقة والتغيير فيها ذهنيًا، ومن صفات من يمتلك ذكاء صوريًا: (ينقل الصورة المشاهدة بوضوح/ يحب بناء المجسمات/ يجيد تحديد الاتجاهات وقراءة الخرائط/ كثير أحلام اليقظة/ يحب مشاهدة العروض المصورة والأفلام).

٦ - **الذكاء الاجتماعي**: ويقصد به القدرة على فهم الآخرين والتنبؤ باستجاباتهم، ومن صفات من يمتلك ذكاء اجتماعيًا: (قائد غير رسمي/ يحسن إعطاء النصائح والإرشادات/ يستمتع بتعليم الآخرين/ يحب الرحلات/ محبوب من الآخرين/ يقدم النصيحة

لأصدقائه/ كثير الكلام عن أصحابه).

٧ - **الـذكاء الذاتي**: ويقصد به معرفة النفـس ورغباتها وميولها، ومـن صفات مـن يمتلك ذكاء ذاتيًا: (لديـه إرادة قوية/ يفضل أداء الأعمال بشـكل مسـتقل عن الآخريـن/ لديه هوايـة أو اهتمام لا يتحـدث عنها كثيـرًا/ يتذكر المواقف التي أثر هـو فيها أكثر من المواقف التي أثرت فيه/ يتخذ قرارات بدون استشارة).

٨ - **الـذكاء البيئي**: ويقصد به التعرف علـى الحياة الطبيعية من حوله وتصنيفات الحيوانات والنباتات، ومن صفات من يمتلك ذكاء بيئيًا: (يتحـدث كثيرًا عن الطيور والنباتـات/ يحب زيارة حديقة الحيوان/ يسـتمتع بالخضـرة والمناظر الطبيعيـة/ يحب الرحلات الخلوية/ يحب تنسيق الزهور والنباتات/ يراقب حركة البيئة من حوله كحياة النمل وتقليم الأشجار).

فعليكم يـا آباء أن تبحثوا في أبنائكم عن نـوع الذكاء الموجود لديهم، وتسعوا لتنميته، والتعامل مع الطفل بما يحب وليس بما نريد له؛ فالطفل الذي لديه ذكاء اجتماعي لا يُتصور أن يكون أداؤه عاليًا في الجوانب التي تعتمد على الذكاء المنطقي على سبيل المثال.

وبعـد أن اسـتعرضنا أنـواع التربيـة المختلفة آن لنـا أن نعرف الوسـائل المؤثرة لغـرس هذه التربية الإسـلامية لنتعلم كيف نربي أبنائنا تربية إسلامية؟

التقويم والأنشطة التعليمية

١. من خلال دراستك للمبحث الأول وضح مدى قصور أو كمال التعريفات الآتية للتربية:

أ- التربية عملية إعداد العقل السليم في الجسم السليم.

ب- التربيـة عملية حفظ التـراث الثقافي ونقلـه من جيل إلى جيل.

ج- التربية عملية تهدف إلى تكيف الفرد مع المجتمع.

د- التربية تنمية الشخصية الإنسانية المتكاملة والمتوازنة.

٢. يقـول الشـيخ عبـد الرحمـن البانـي: (إن التربيـة والتعليـم مصطلحـان ينطبـق عليهما القاعـدة القائلـة إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعـا) وعليه فإنه يتم الخلط الكثير بين التربية والتعليم فهل هما مترادفان أم هناك فرق.. وضح؟

٣. المربي أشبه بمقاول البناء.. هذا يبني حجرًا وذاك يبني بشرًا.. والمقـاول رجل تنفيذي لا يسـتطيع أن يعمـل إلا وفق تصميم معيـن يقوم بوضعه مهنـدس التصميمات وفقًـا لطلب العميل، والمربـي كذلـك يعمل وفق أهداف مسـتمدة مـن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

أ- حدد معنى الهدف مع بيان أهمية مسبقًا.

ب- بين الشروط الواجب توافرها في الهدف التربوي.

٤. لـك زميل من المولعين بالتربية الغربية ويروج لها متناسـيًا ما للتربية الإسـلامية من ميزات وفضائل حاول أن تقنعه بسـمو التربيـة الإسـلامية وأفضليتها على سـائر الأنظمـة التربوية الأخـرى من خـلال دراسـتك للمبحـث الأول ثم سَـطّر هذه المحاورة.



المبحث السابع:
كيف تربي أولادك بالإسلام؟

صورة تربوية (تعلم أباها الرحمة بالحيوان وتذكره برحمة اللّٰه):

«ذكر الفخر الرازي في تفسيره أن صيادًا كان يصيد السمك فصاد سمكة وكان له ابنة فأخذتها ابنته فطرحتها في الماء وقالت: إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها».

قال الرازي معلقًا :

إلهنا، تلك الصبية رحمت غفلة هاتيك السمكة وكانت تلقيها مرة أخرى في الماء، ونحن قد اصطادتنا وسوسة إبليس وأخرجتنا من بحر رحمتك فارحمنا بفضلك وخلصنا منها وألقنا في بحار رحمتك مرة أخرى»

«تفسير الرازي ٢٢/ ١٣

وسائل التربية الإسلامية المؤثرة

الوسائل جمع وسيلة وهي الطريقة:

و يعرفها د/ علي عبد الحليم بقوله: «والوسيلة في صورتها العامة هي كل ما من شأنه أن ييسر القيام بعمل أو يساعد على تحقيقه أو قضائه كما يلزم»[1].

و يعرفها د/ عبد الرشيد سالم بقوله «هي سلسلة من النشاط الموجه للمدرس الذي ينتج عنه تعلم لدى التلاميذ»[2].

وفي ميدان التربية والتعليم تعتبر الوسائل هي الوسيلة التي توصل بها المادة التعليمية إلى المتعلمين، مادية كانت هذه الوسائل أو معنوية نظرية أو عملية، وتتنوع هذه الوسائل أنواعًا عديدة منها:

١ – المنهج المدرسي كله وما يشتمل عليه من مفردات الخطة الدراسية، المدرس، المعمل، البناء المدرسي.. الخ).

٢ – الكتاب. ٣ – المحاضرة.

٤ – المدرس. ٥ – الحوار.

٦ – المناظرة. ٧ – الخطبة.

---

(١) التربية التروحية ، د/ علي عبد الحليم صـ ٤٨

(٢) طرق تدريس التربية الإسلامية صـ٢٦٢

٨ – أشرطة التسجيل. ٩ – أشرطة الفيديو.

١٠- البرامج المذاعة مسموعة أو مرئية.١١- الندوات.

١٢- الدورات التعليمية أو التدريبية. ١٣- المؤتمرات.

١٤- المخيمات أو المعسكرات.

١٥- زيارة الأماكن التي لها صلة بالمادة التعليمية.

١٦- زيارة الصالحين.

١٧- زيارة أصحاب الخبرة والتجربة والبارزين من رجال الأعمال.

١٨- القدوة.

وتمتاز الطريقة في التربية الإسلامية بمجموعة من الخصائص نوجزها فيما يلي[1]:

١. اصطباغها بروح الدين.

فالطريقة ليست منعزلة عن العقيدة؛ فالمعلم يبدأ درسه بذكر الله، ويختتمه بدعاء، ويحرص على أن يجعل كل ما يجري في الموقف التعليمي موصولاً بالله سبحانه وتعالى.

٢. عدم الفصل بين الجانب النظري والجانب العملي:

فالتربية الإسلامية نظرية وعملية وتُعنى بالمبادئ والممارسات.

٣. الارتباط بالهدف:

فهناك التحام بين الهدف والطريقة، والهدف هو الذي يتحكم في الطريقة، فالتربية التي تحرص على إيصال المتعلم إلى كماله

(١) مدخل إلى التربية الإسلامية صـ١٣٥

الإنساني وتحرص على كرامته لا يحق للمعلم حينئذ أن ينعت المتعلم بصفات تخل بكرامته أو أن يبالغ في عقوبته.

٤. **ارتباط الطريقة بالمتعلم:**

تتأثر الطريقة التربوية التي تستخدمها بأبعاد ثلاث:

- المربي و إمكانياته من حيث استطاعته بتطبيق وتنفيذ الطريقة التي اختارها.
- الطلاب الذين يدرس لهم وهل تناسبهم هذه الطريقة أم لا.
- الموضوعات الذي يقوم المعلم بتدريسها.

٥. **الطريقة المتبعة:**

أن تكون الطريقة المتبعة متماشية مع نتائج بحوث التربية وعلم النفس الحديثة، والتي تؤكد على وجوب مشاركة الطلاب في النشاط في الفصل، وعلى ضرورة اهتمام المربي باستجاباتهم، وتشجيعهم على أن يكونوا إيجابيين فعّالين لا كسالى ولا سلبيين.

وأخيرًا: فالمربي الحصيف يستطيع استخدام أكثر من طريقة مراعاة للفروق الفردية بين تلاميذه، وسوف نتعرض لهذه الأساليب بشيء من الإيجاز إن شاء الله.

وسائل التربية المؤثرة

أولًا: التربية بالقدوة[(١)]:

إن صلاح المربي هو أبلغ خطبة تدعو الطلاب إلى الإيمان، وخلقه

(١) تربية الأولاد في الإسلام - أ/ عبد الله ناصح علوان - ج٢ - ص ٦٠٧

الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب، ومن ثم فإن المربي الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق بعمله وإن لم ينطق بكلمة؛ لأنه مَثَلٌ حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها.

ومن هنا كانت القدوة عاملًا كبيرًا في صلاح الولد أو فساده؛ فإن كان المربي صادقًا أمينًا كريمًا عفيفًا نشأ الولد على الصدق والأمانة والكرم والشجاعة والعفة، وإن كان المربي كاذبًا خائنًا متحللًا جبانًا نذلًا نشأ الولد على تلك الرذائل.

فالولد مهما كان استعداده للخير عظيمًا، ومهما كانت فطرته نقية سليمة؛ فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم ير المربي في ذروة الأخلاق وقمة القيم والمثل العليا.. ومن السهل على المربي أن يلقن الولد منهجًا من مناهج التربية، ولكن من الصعب بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ويقوم على توجيهه غير متحقق بهذا المنهج وغير مطبق لأصوله ومبادئه ومن هنا كان تقريع الشاعر العربي «أبي الأسود الدؤلي» أليمًا للمعلم الذي يخالف فعله قوله؛ فيقول:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلًا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى ... بالعلم منك وبنفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ولذلك بعث الله محمدًا ﷺ ليكون للمسلمين على مدار التاريخ القدوة الصالحة للبشرية في كل زمان ومكان السراج المنير والقمر الهادي ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

والمنهج القرآني حينما يركز على ضرورة وأهمية القدوة الحسنة في التربية فإن ذلك يعود إلى أن في فطرة الإنسان ميلًا قويًا للمحاكاة والتقليد الأمر الذي يسهل عملية تعليم الأعمال الراقية.

إن المثال الحي الذي يتحلى بجملة من الفضائل السلوكية يعطي غيره قناعة بأن بلوغها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية؛ فما نشهده في مجال التربية أن كثيرًا من الناس يرون بعض الأمور مستحيلة الوقوع لأنهم لم يعالجوا قدراتهم للقيام بها، فإذا شاهدوا غيرهم يفعلونها أخذوا يطوعون قدراتهم حتى يكسبوها المهارات المطلوبة لذلك العمل بالمعالجة والمحاكاة والتدريب.

إن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال السلوكي يثير في الأنفس الاستحسان والإعجاب، ومع هذين الأمرين تتهيج دوافع الغيرة فيها، وعند ذلك يحاول الإنسان تقليد ما استحسنه وأعجب به بما يتولد لديه من حوافز قوية تحفزه لأن يعمل مثله حتى يمثل درجة المجد التي يسبقه إليها.

والقدوة العملية أقوى وأشد تأثيرًا في نشر المبادئ والأفكار؛ لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، ويسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء

بها وتقليدها، بخلاف الأقـوال أو المحاضرات والكتابات؛ فقد لا يستوعبها بعض السامعين أو القارئين، أو قد لا يدركون مقاصدها، وقـد تنسـى كلهـا أو بعضهـا، أو قد تظـل نظرية ويجهـل الكثير تطبيقها عمليًا، أو قد يخطئ بعض الناس عند التطبيق.

ولقد كان رسـول الله ﷺ قدوة بشـرية عملية وسط المسلمين الأوائل، فكان له الأثر الكبير في تعريف المسـلمين على الإسلام نظريًـا وعمليًـا، واقتدوا به ﷺ فـي كل صغيرة وكبيرة، سـواء في أمـور العبـادة، أو المعامـلات، أو أعمـال اليـوم والليلـة من طعام وشـراب ونوم ولباس وغير ذلك، ولو أضفنا إلى ذلك حرص الرسول ﷺ على إرشـاد المسـلمين إلى كل ما فيه خير لهم، ونهيهم عن كل مـا فيـه ضرر لهـم؛ لعلمنا مقدار ما فـاز به المسـلمون الأوائل من خير فـي اقتدائهم بخير قدوة، وقد توارثت الأجيال هذا الخير بعد جيل صحابة رسول الله ﷺ حتى وصل إلينا لنوَّرثه إن شاء الله لمن بعدنـا، ولقد قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ -٣].

وقـال تعالـى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[البقرة: ٤٤].

وحديـث رسـول الله يؤكد هـذا المعنـى؛ فعن أسـامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: «يجـاء بالرجل يوم القيامـة فيلقى في النار فتندلـق أقتابه في النار، فيـدور كما يدور الحمار برحـاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شـأنك

أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[1].

وكما أن القدوة العملية لها تأثيرها الطيب في مجال الخير والعمل الصالح، فكذلك لها تأثيرها السيئ حينما تكون قدوة عملية في أعمال السوء والفساد.

- ولا بد للمربي أن يحدث أولاده كثيرًا عن سير الصالحين والعلماء ليجد الأولاد فيهم القدوة الحسنة.
- أن يحذرهم من رفاق السوء، ويطالبهم بالابتعاد عنهم.
- أن لا يجعل من التعلم عن طريق القدوة سبيلًا لتنشئة شخصيات ضعيفة تقوم على تقليد المربي في حركاته وسكناته؛ فالإسلام يحرص على تنمية القدوة وهو في ذات الوقت يحرص أن يُعمل كل إنسان عقله وأن يكون مسئولًا عن تصرفاته.

ثانيًا: التربية بالعادة[2]:

العادة هي كل أسلوب متكرر يكتسب، ويُتعلم، ويُمارس ويتوارث اجتماعيًا، والعادة كأسلوب وطريقة تُستخدم في التربية ويمكن وصفها بأنها سلاح ذو حدين، فهي إن سارت في الوجه الإيجابي أثمرت وأنتجت، وإن سارت في الوجه السلبي لها فإنها

(١) أخرجه البخاري عن أسامة بن زيد «رضي الله عنه»
(٢) المصدر السابق – ج٢ – ص ٦٣٥

ستؤدي بالفرد إلى أن يكون لا مباليًا وعدوانيًا.

والعادة يمكن تقسيمها إلى جانبين مهمين: العادات الاجتماعية التـي يحكم فيها الديـن تحليلًا وتحريمًا كالطهارة من النجاسـات والمأكل والزواج والطلاق.. وعادات نفسية وهي صفات مكتسبة كالكبر والغش والخداع والكذب والنميمة إلى غير ذلك.

وممـا لا يختلـف فيه اثنان أن الولد إذا تيسـر لـه عاملان: عامل التربية الإسلامية وعامل البيئة الصالحة فإن الولد- لا شك ينشأ على الإيمان الحق، ويتخلق بالإسـلام، ويصل إلى قمة الفضائل النفسية والمكارم الذاتية.

أما عامل التربية الإسلامية الفاضلة فالرسول ﷺ أكده في أكثر من حديث:

«لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»[١].

«علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم»[٢].

وممـا يؤكـد ما للبيئـة الصالحة من أثـر في تربية المسـلم على الصلاح والتقوى حديث الرجل الذي قتل تسـعة وتسعين نفسًا كما رواه البخاري ومسـلم فقال له العالم: «.. انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها ناسًـا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرض قومك فإنها أرض سوء.. الخ».

(١) رواه الترمذي

(٢) رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور

ومـن الخطأ الفادح أن يتوهم البعـض أن الناس يولدون أخيارًا أو أشـرارًا، كما يولد الحمل وديعًا والنمر مفترسًـا، وأنه لا يمكن تغيير الشر الكامن في الإنسان كما أنه لا يمكن تغيير الخير المتأصل فيه.

وهذه الدعوة الباطلة منقوضة شرعًا وعقلًا وتجربة[1].

أما شرعًا: فلقوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

أمـا عقلا[2]: فلأن الله سـبحانه لما أنزل الكتب وأرسـل الرسـل لأجل مـاذا؟ أليس في سـبيل إصلاح الإنسـان وسـعادته فـي دنياه وآخرتـه، ثم لماذا تهتـم الحكومات في وضع المناهـج والقوانين، ولماذا تشرف على تأسيس المدارس والمعاهد والجامعات؟

ولماذا تقوم علـى تعيين المعلمين والمختصين من علماء التربية والأخـلاق والاجتمـاع؟ أليس ذلك لأجـل التعليـم والتأديب وقمع المفاسـد وتأسـيس الصالح وتقويم الاعوجاج؟ فنسـتنتج بعد هذه التسـاؤلات أن الإنسـان خُلق مسـتعدًا للخيـر والشـر جميعًا، فإذا هيئ له التربية الصالحة والبيئة الصالحة نشـأ على خير ما ينشأ من الإيمان الخالص والأخلاق الفاضلة.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام. أ/ عبد الله ناصح علوان، جـ١

(٢) تربية الأولاد في الإسلام. أ/ عبد الله ناصح علوان، جـ١

أما أنها منقوضة تجربة ومشاهدة؛ فمن الملاحظ في عالم الإنسان أن إنسانًا ما عاش طويلًا في بيئة الضلال والفساد وبلغ فيه الإجرام كل مبلغ، وقد أذاق المجتمع من وبال شروره وآثامه وأقض مضجعة من ويلات شقائه وإجرامه، وإذ بداعية صالح ومرب مخلص ينقله إلى روضه السعادة فيصبح من كبار الأتقياء وأعلام الأبرار والسعداء.

بل أكثر من ذلك أن الإنسان وفق في كل عصوره من ترويض وتأنيس الحيوان، أفلا يستطيع تغيير إنسان من حال إلى حال.

ورحم الله من قال:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعوده التدين أقربوه

ثالثًا: التربية بالموعظة(١):

يحظى أسلوب الموعظة بمكانة كبيرة في التربية الإسلامية لكونه من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانيًا وإعداده خلقيًا ونفسيًا واجتماعيًا؛ لهذا نجد القرآن الكريم قد اتخذها منهجًا لتربية الأفراد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وينصح الإمام الغزالي كل من يلجأ للوعظ أن يكون مراعيًا

(١) المصدر السابق – ج٢ – ص٦٥٣

للمبادئ التالية[1]:

١. الابتعـاد عن التكلف في الـكلام بالعبارات لأن الله سـبحانه وتعالى يبغض المتكلفين.

٢. أن يرتبط الوعظ بهدف واضح محدد.

٣. على مـن يعظ غيـره أن يراعي نفسـيته، وأن يتخيـر الأوقات الملائمة للموعظة، وأن لا يثقل عليه حتى لا يحدث في نفســه الملـل والضجر، وتؤتـي الموعظة ثمـارًا يافعـة عندما يكون الواعظ قدوة صالحة لمن حوله.

وكم يكون المربي موفقًا حين يتفهم منهج الرسول الأعظم ﷺ في طرائق مواعظه، و يتبع أسلوبه في نصائحه و إرشاداته

وكم يكون موفقًا حين يقتصد في موعظته و يقصرها على الأهم فالمهم؛ مخافة السآمة والمل.

وكم يكون موفقًا حين يبدأ موعظته بالقســم تأكيدًا، و يمزجها بالمداعبة تشو يقًا وتحبيبًا.

وكـم يكـون موفقًا حين يبـذل الجهد في الهيمنـة بالوعظ على طلابه، لتأثر الجميع بكلامه.

وكم يكون موفقًا حين ينتهز وقوع الحادثة في الوعظ، أو وجود المناسبة في النصح؛ ليكون التأثير أفضل والاستجابة أقوى.

(١) أيها الولد ص١٤١ - ١٤٣

وأخيـرًا أخي المربي: احرص ألا تتمادى في هذا الأسـلوب مما يؤدي إلى نفور و إعراض من يسمعك ولكن تارة وتارة.

رابعًا: التربية بالقصة:

تعتبر القصة من أكثر أساليب التربية فعالية وأقواها أثرًا، وهي وسيلة مشوقة للكبار والصغار تُحدث أثرها في النفس، وهي تشعر بالمتعـة وتجعـل الإنســان ينجذب إليهـا و ينتبه إلـى كل أحداثها، ولقد شـغلت القصة حوالي ربع الكتـاب العزيز، بمعنى أن القرآن اتخذها منهجًا للتربية لما لها من أثر فريد في النفس، وكذلك النبي ﷺ؛ فنجـد أحاديـث كثيـرة للنبي ﷺ عبارة عن قصـص يربي بها النبي ﷺ صحابته.

ولكــي يكــون معلم التربيــة الإســلامية ماهرًا في سـرد القصة وقادرًا على الوصول إلى أهدافها فهناك مجموعة من الشــروط التي ينبغي أن يراعيها:

١. تحديـد فكرة القصة وما تدور حوله ومحاولة ربطها بموضوع الدرس.

٢. أن تشــتمل القصــة على مجموعة من العبـر والعظات لأن هذا هو هدفها الأول.

٣. أن يكـون فيهــا الغلبة للحـق والفضيلة على الباطـل والرذيلة، ويكون الغلبة للإنسان الموصول بربه والذل والهوان للعاصي المتكبر.

٤. أن يحـدد المربـي مكوناتها و يرتبهـا ترتيبا منطقيًـا بمعنى أن يعدها مسبقًا.

٥. أن يراعي اللغة والأسلوب الذي يُستخدم في سرد القصة بحيث يكون في مستوى التلاميذ.

٦. براعة الاسـتهلال كبدء القصة بسـؤال يحتاج إلى جواب مما يجعل الأولاد في شوق لمعرفة جوابه من خلال الأحداث، و إذا كانت القصة مسلسـلة فعليـه أن يقف عند الأحـداث المثيرة التي تجعل الولد في شوق وانتظار لمعرفة ما بعد ذلك.

٧. أن يصـور المربـي بنبرات صوته و إشـارات يـده الجو الذي يسيطر على القصة.

٨. أن يستعين بوسائل إيضاح لو أمكن ذلك.

٩. محاولة مناقشة الطلاب فيها حتى تنمي فيهم القدرة على التخيل ومهارة التفكير السليم.

و يجـب التنبيـه فـي هذا المقـام إلـى الاهتمام بِنمـط القصص الذي يُقدم للأطفـال ونوعيته؛ فبعض هذا القصص كُتبت على غير منهج سـليم، فهي لا تتضمن ما يفيد الأطفال تربية وتعليما وتثقيفًا.. والأنمـاط القصصيـة المحبوبـة فـي هـذا المقـام هي التـي تقدم للطفـل تاريخ الأبطـال الذين أقاموا مجد الإسـلام، والقصص التي تبرز الفضائل والقيم مما يشـبع العاطفة و يغـذي العقل، والتاريخ الإسـلامي حافل بكل هذا، وفي مجـالات العلوم الدنيوية والدينية

والآداب والفنـون المختلفة مادة جيدة لطريقـة القصة في التربية الإسلامية[1].

خامسًا: التشبيه وضرب الأمثال:

التمثيل ما هـو إلا تقديم الأفكار والمعاني الذهنية المجردة في صورة أشـياء محسوسة ملموسة فتقترب الفكرة من العقل، وعندئذ يسـتطيع السامع أن يدرك المعنى ويكوّن صورة له في مخيلته؛ إذن فهو وسيلة تربوية تعليمية لتقريب ما كان بعيدًا، وإيضاح ما كان غامضًا، بالإضافة إلى ما فيه من الإثارة والمتعة؛ مما يرد السآمة عن المتعلم، ويجعله متقد الذهن حاضر القلب.

ولذلـك نجد كثـرة اعتماد القرآن على هذا الأسـلوب، فقد ذكر «ابن القيم» أن القرآن اشتمل على بضعة وأربعين مثلًا.

ولنأخذ مثالًا على ذلك قوله تعالى:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فتجسـد هـذه الآية معنـى ذهنيًا وهـو ضعف الآلهـة التي تعبد مـن دون اللـه عز وجل، ووهـن الملجأ الذي لجأ إليـه من يعبدها، ويضيف الأستاذ «سيد قطب» فيقول عن هؤلاء الضعفاء:

«فهـم عناكـب ضئيلـة واهنـة، تأوي مـن حمى هـؤلاء الآلهة

(١) طرق تعليم الدين الإسلامي صـ٦٢

أو الأولياء إلى بيت كبيوت العنكبوت و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، ولكنهم لا يعلمون حتى هذه البديهة المنظورة فهم يضيفون إلى الضعف والوهن جهلاً وغفلة، حتى ليعجزون عن إدراك البديهي المنظور»[1].

قوله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

فكما أن الريح الشديدة تعصف بكل شيء وتبعثر الرماد فلا تبقى منه شيء فإن أعمال الكافرين تتبدد فتصبح هباءًا منثورًا كذلك قوله تعالى:

﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ٤٩ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾ [المدثر: ٤٩ – ٥١].

فيشبه المولى عز وجل الكافرين المعرضين عن القرآن الكريم الذي فيه نجاتهم وسعادتهم بالحُمر التي تفر وتُولى هاربة عندما ترى الأسد أو الصياد؛ فيستطيع المرء حينما يسمع هذه الآية أن يرسم في مخيلته صورة حُمر باغتها صياد أو أسد يريد الفتك بها، ترى كم يكون شدة عدوها للنجاة بنفسها!! فهؤلاء الكافرين مثلهم كذلك ولكنهم يفرون من الرحمة والرحمن.

وكما استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب التربوي الفريد

---

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم صـ٣٧

استخدمه المصطفى ﷺ ومنها قوله ﷺ : «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا[1].

«إن العبادة في الإسلام ذات أهداف سامية، والصلاة - وهي إحدى هذه العبادات - تُطهر صاحبها وتنقيه من المعاصي والذنوب، هذا المفهوم المجرد للتنقية صاغه الرسول ﷺ في عبارات واضحة، وذلك بتجسيد المعنى وغرسه في الأذهان؛ فالإنسان الذي يعيش بجانب نهر دائم الجريان يغتسل منه في اليوم خمس مرات لا يعقل إلا أن يكون نظيفًا طاهرًا وكذلك حال من يصلي خمس مرات في اليوم»[2].

من كل ما سبق نستطيع أن نقول: إن الأمثال تسهم بفاعليه في تحقيق الأهداف التربوية، فهي تُقرب المعنى إلى الأذهان عن طريق تشبيه الأمور المجردة بالأمور الحسية الملموسة؛ فتقترب من الذهن وتُعين على الفهم والاستيعاب.

كما أنها تثير الانفعالات لدى المتعلمين؛ فالمربي بضربه الأمثال يستطيع أن يثير طلابه بالحب والكرة تجاه أمور مرغوب فيها أو مكروهة؛ فعندما نسمع قوله تعالى:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَاۢۚ بِئۡسَ

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

(٢) مدخل إلى التربية الإسلامية صـ١٤٩ عبد الرحمن صالح

مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

فإنه يغرس في نفوسنا كره هذا الصنف من الناس الذين يعلمون العلم ولم يعملوا به.

كما أن الأمثال تقود إلى تربية العقل؛ فهي تحث على المقارنة والقياس والاستنتاج بين المعنوي والمحسوس.

وأخيرًا نوصي المربي عندما يلجأ إلى هذا الأسلوب فعليه أن يأتي بأمثلة من البيئة المحيطة بالمتعلمين؛ لأن ذلك أدعى للفهم والاستيعاب.

سادسًا: أسلوب الجدل والحوار:

يعتمد هذا الأسلوب في التربية على مقابلة الرأي بالرأي، ومقارعة الحجة بالحجة؛ بقصد تغيير رأي المعارض، وجعله مقتنعًا بما نراه من الحقائق.

ولقد ورد لفظ الحوار ثلاث مرات في القرآن وورد لفظ الجدل في مواضع عديدة.

ولقد استخدم القرآن هذا الأسلوب لبيان الحقيقة والواقع، ولإزالة الأوهام والخرافات من عقول الناس، ومحاربة التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

ومن أمثلة ذلك حوار إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه في موضوع عبادة الأصنام (الشعراء - الآيات ٦٩، ٧٧) وحواره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع النمرود «الآية ٢٥٨ سورة البقرة».

وكذلك حوار نوح مع قومه حتى عجز قومه عن الرد وقالوا له: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وكذلك النبي ﷺ استعمله للإقناع وحمل من يخاطبه على التسليم بحكم الشرع، ونرى ذلك جليًا في قصة الشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا فظل يحاوره حتى اقتنع وسلّم ولم يكن هناك شيء أبغض إليه من الزنا.

ولكن للحوار جملة من الآداب على من يستخدمه أن يلتزم بها وأن يراعيها؛ حتى تؤتى ثمارها ولا تأتي بعكس النتائج المتوقعة:

١ - خلو الأدلة من التناقض:

فالمربي الذي يدعو طلابه إلى قضية معينة مطالب بأن لا يضّمن قضيته أدلة متناقضة، كما نلاحظ ذلك جليا في أقوال الكافرين؛ فهذا فرعون يتهم موسى عليه السلام بالسحر أو الجنون: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ [الذاريات: ٣٩].

ومعلوم أن السحر والجنون أمران مختلفان لذا فإن صاحب هذا الرأي متناقض مع نفسه.

٢ - عدم الجدال بدون الاعتماد على الحقائق والأدلة الصحيحة:

قال تعالى منكرًا على هؤلاء الناس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨].

٣ – فعل المحاور لما يخالف موضوع الحوار:

كأن يحـاور المربي طلابه و يحـاول إقناعهم بعدم التقصير في أداء الصلوات ثم هو لا يصلي!!. ولقد أنكر العرب نبوة سيدنا محمد ﷺ بحجة أنه بشر مع أنهم من قبل صدقوا بأنبياء آخرين فلماذا لا يؤمنون سيدنا محمد ﷺ ؟!!

٤ – استخدام طريقة الجدال بالتي هي أحسن:

فينبغـي علـى المتحاوريـن التزام الـكلام المهـذب والبعد عن الاستهزاء.

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ونهـى المولـى عز وجـل أن يـؤدي هذا الجـدل إلى الشـحناء والبغضاء، ولكن ليكن شـعارنا: الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

٥ – تقديـم الأدلة الصحيحة وأن يكـون الهدف من الحوار هو معرفة الحقيقة والوصول إليها.

ملاحظات على الطريقة الحوارية:

١. يعيـب البعـض على هـذه الطريقة أنها تسـتغرق وقتًـا طويلًا نتيجـة للاسـتطرادات الكثيـرة والخروج عـن الموضوع في أغلب الأحيان، ولذا فإنها تحتـاج إلى كثير من المهارة والدقة مـن جانب المربي حتى يسـتطيع إدارة دفة الأمور في الاتجاه

الصحيح، وأن يعود بالطلاب سريعًا عند الشرود عن الموضوع الأساسي.

٢. توفير الجو المناسب للحوار بأن يقتنع الطالب بأن إبداء رأيه حق له، ولن يُضار أحد حينما يأتي برأي مخالف.

٣. عند طرح موضوع معين للنقاش فإن على المربي أن يخصص وقتًا بسيطًا من وقت المناقشة لتوضيح الموضوع وأفكاره الرئيسية.

٤. سيجد المربي نوعين من الطلاب: نوع نشيط يسيطر على جو المناقشة، ونوع آخر آثر أن ينسحب من الحوار والجدال والنقاش.

فعلى المربي أن يرشد الفئة الأولى فلا يكبتهم ولكن ينظمهم بحيث يضمن عدم ضياع حقوق الآخرين، أما الفئة الثانية فيحثها على المشاركة دون إحراجهم.

سابعًا: أسلوب السؤال:

يعتبر أسلوب إلقاء الأسئلة من جانب المربي على الطلاب أسلوب قديم قدم التربية ذاتها، وهو من أكثر الأساليب شيوعًا حتى يومنا الحاضر.

ولقد كان النبي ﷺ يستخدمه عند تعليم أصحابه.

«أتدرون من المفلس؟»[1].

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

«أتدرون أين تذهب الشمس؟»[١].

وكذلك السؤال من جانب المتعلم للمربي؛ فإنه وسيلة جيدة للتعلم حث عليها القرآن الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وهذا جبريل عليه السلام يستخدم السؤال ليعلم الأمة أركان دينها في الحديث الذي رواه سيدنا «عمر» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المشهور[٢].

يا محمد أخبرني عن الإسلام؟

يا محمد أخبرني عن الإيمان؟

يا محمد أخبرني عن الإحسان؟

والرسول ﷺ يجيبه والصحابة تتعلم منه.

١ – الأسئلة التي يطرحها المربي:

تتنوع الأسئلة التي يلقيها المربي بحسب الهدف منها، فمنها ما يكون قبل بداية الدرس ليربط بها المعلم درسه الجديد بالدرس السابق، ومنها ما يكون أثناء الشرح لإثارة الانتباه والتشويق، ومنها ما يكون للتركيز على نقطة في الدرس، ومنها: ما يكون في آخر الدرس لتقويم فهم الطلاب، وعليه فالمربي لا يستغني بحال من الأحوال عن طرح الأسئلة على طلابه، ولكن عليه اتباع هذه الإرشادات عند صياغة الأسئلة:

(١) رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري «رضي الله عنه»

(٢) رواه مسلم

١. **وضوح الهدف:** فعلى المربي عند صياغة الأسئلة أن يضع نصب عينيه الهدف المراد توصيله للطلبة ثم يسدد نحوه الأسئلة.

٢. **وضوح السؤال وصياغته صياغة دقيقة:** بحيث يفهم منه الولد ما يطلبه المربي بالضبط.

٣. ملائمة السؤال لمستوى الطلاب.

٤. أن يتسم السؤال بالقصر.

٥. أن يكون مكملًا لإجابة سابقة، وفي نفس الوقت فاتحًا الباب لسؤال آخر قادم.



٦. اعلم جيدًا أن الغرض من السؤال هو إثارة الحماس والنشاط الذهني للطلاب وتوصيل المعلومة إليهم في قالب سؤال وليس

الغرض منه (اختبار).

٧. حاول أن تجعل هناك فاصلًا زمنًا بين طرح السؤال وتحديد من يجيب عليه على اعتبار أن توجيهه لجميع التلاميذ وفي هذا إثارة لانتباههم جميعًا، كما أنك بذلك تعطي الفرصة لهم للتفكير في الجواب، وينبغي تجنب الآتي:

- تحديد من سيجيب على السؤال مسبقًا.
- توجيه الأسئلة إلى التلاميذ حسب ترتيب المقاعد أو الأسماء.

لأن في ذلك انصراف لبقية التلاميذ اعتمادًا على أن المربي قد عين أحدهم للإجابة.

٨. من حين لآخر اسأل الطالب الواحد أكثر من مرة حتى لا يظن أن دوره قد انتهى عقب إجابته الأولى فيفعل ما يحلو له.

٩. عوّدهم عند طلب الإجابة النظام فلا صراخ، ولا إجابة جماعية وأن يستمعوا بعناية واحترام لزميلهم.

١٠. إذا أجاب الولد إجابة صحيحة فكررها؛ لأن في ذلك تثبيت للمعلومة، فقد روى الترمذي ما معناه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم كلمة أعادها ثلاثًا لتفهم منه، وعليك بإثابة صاحبها ولو بكلمة شكر.

١١. إذا أخطأ الطالب فلا تسخر منه ولا تؤنبه؛ فالغرض ليس الحصول على المعلومات بقدر ما هو تعليم للطلاب، ولو أنهم

كانـوا يعرفـون إجابات كل الأسـئلة لما كانـت هناك حاجة للمدارس مـن البداية، ولكن اطلب من غيره أن يصحح له فإذا أخطأ فصحح أنت، ولا تطلب من ثالث خشية أن يضيع الوقت، واجعل الطالب الذي أخطأ يعيد الإجابة الصحيحة مرة أخرى.

١٢. لا تجعل من الأسـئلة وسـيلة لتخويف الطلاب، فالرسول ﷺ قـال «..إن اللـه لم يبعثني معنتـًا ولا متعنتًا ولكـن بعثني معلمًا ميسرًا..»[١].

١. ركز في أسـئلتك على النقاط الهامة في الموضوع، ونوِّعها بين تذكيرية تفكيرية وابتكارية.

٢. لا تستمر في إلقاء الأسئلة طوال الوقت.

أخي المربي: تذكر هذه القاعدة:

«شـجع طلابك دائمًا على الملاحظة والتفكيـر لتنمي فيهم قوة الملاحظـة والتفكيـر وتحملهـم على الإصغـاء واليقظـة و إعمال الفكر».

٢ - الأسئلة التي يطرحها الطلبة:

علـى المربي أن يشـجع طلابه على السـؤال؛ فذلـك يدل على مـدى تيقظهم وتفهمهم للموضوع المثار، وعلى المعلم تجاه أسـئلة تلاميذه الآتي:

---

(١) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله «رضي الله عنه»

١. حسن الاستماع لهم و إظهار الاهتمام بسؤالهم.
٢. الإجابة عن الأسئلة بوضوح يجعل الطلاب قادرين على فهم الإجابة.
٣. إشراك الطلاب أنفسهم في الإجابة عن أسئلة زملائهم، ثم يقوم المربي بالتعقيب سواء بالرفض أو الإيجاب أو الترتيب والإيضاح.
٤. إذا تعرضت لسؤال لا تعرف إجابته فبكل صراحة قل (الله أعلم) فالرسول ﷺ حين سأله رجل (أي البلاد شر؟ قال: لا أدري حتى أسأل، فسأل جبريل عن ذلك فقال: لا أدري حتى أسأل ربي فانطلق فلبث ما شاء الله، ثم جاء فقال: إني سألت ربي عن ذلك فقال: شر البلاد الأسواق» [1].
٥. فلم يستحِ النبي ﷺ أن يقول لا أدري.

ولكن إذا أراد المعلم أن لا يفقد ثقة طلابه فيمكن أن يتخلص من هذا الموقف بلباقة فمثلًا: يوجه السؤال إلى باقي التلاميذ: من يعرف إجابة سؤال زميلكم؟

إذا أجاب أحدهم فخير وبركة:

وإذا لم يعرف أحد، توجه بكلامه لهم: خيرًا يا أولادي نفكر في إجابة هذا السؤال المرة القادمة؛ وسأعطي من يعرف جائزة ثم يبحث المعلم بعد ذلك عن إجابته.

(١) رواه ابن حجر العسقلاني عن جبير بن مطعم

تنقسم أسئلة الطلاب إلى نوعين من حيث تعلقها بموضوع الدرس:

فمنها الذي يتعلـق بالموضوع، وهذا يُجاب عنه في وقت أو في سياق الكلام.

وآخر خارجي لا يتعلق بالموضوع، فهذا يُؤجل إلى آخر الوقت وتكـون إجابتـه على المـلأ أو على انفراد حسـب طبيعة السـؤال وأهميته.

وأخيـرًا لطريقة السـؤال مميـزات كثيرة وعيـوب أيضًا أهمها عنصر الوقت الذي قد يضيع هباء إذا لم يتيقظ المربي لذلك[1].

ثامنًا: أسلوب الملاحظة:

يقصد بأسلوب الملاحظة أمرين أولهما أن الولد هو الذي يُلاحَظ والثاني أن المربي هو الذي يُلاحِظ.

فالمقصـود الأول حث عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنـه يجعل المرء يصـدق يقينا في صحة الحادثة التي تدركها حواسـه، وفي قصة سيدنا إبراهيم أكبر دليل على ذلك حينما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وهو بذلك يريد أن يرى لا لنقص إيمان عنده وإنما ليزداد يقينًا ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وعلى المربي أن ينمي في طلابه ملاحظة الظواهر الكونية، وأن

---

(١) راجع زاد العلم – أ/ على لبن - صـ ١٩٧

يتخذها سـبيلًا للإيمان بالله سبحانه وتعالى: فيرشدهم لمشاهدة ما في الكون الفسيح من سماء ونجوم وكواكب وطيور وحيوانات.

كذلك يسـتخدم المربي الملاحظة عنـد تعليم العبادات لطلابه خاصـة صغـار السـن، فالطفل لا يتعلـم كيفية الوضـوء أو الصلاة بالجانب النظري فحسب، بل لا بد له أن يشاهد إنسانًا أمامه يتوضأ ويصلي ليقلده.

أمـا المعنى الثانـي وهو أن يلاحظ المعلـم والمربي أولاده؛ فقد حض عليها الإسـلام أيضًا وأمر الآباء ومـن ثم المعلمين بأن يهتموا بملازمة أولادهم ومراقبة أفـلاذ أكبادهم في كل ناحية من نواحي الحياة، وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

«... والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها..»[١].

«لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»[٢].

فما معنى كل هذا؟!

أليـس معنـاه أن يلحـظ المربـي الولـد، يلاحظه ويلـزم أدبه، ويراقب حركاته وسكناته، حتى إذا أهمل حقًا أرشده إلى الصواب،

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر «رضي الله عنهما»

(٢) رواه الترمذي عن جابر بن سمرة «رضي الله عنه»

وإذا قصر في واجب حضه عليه، وإذا رأى منكرًا نهاهه عنه، وإذا فعل معروفًا شكر له صنيعه.

وينفع الأدب الأحداث في صغر ... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولن يلين إذا قومتها الخشب

- فيلاحظ المربي في الولد ما يأخذه من مبادئ وأفكار واعتقادات.
- يلاحظ ما يطالعه من كتب ومجلات ونشرات.
- يلاحظ من يصاحبهم من رفقاء وقرناء.
- يلاحظ أخلاقه (صدقه – أمانته – حفظ لسانه ... الخ)
- يلاحظ نفسيته وصحته.
- يلاحظ أداءه لحقوق الآخرين واحترامهم.
- يلاحظه في سائر يومه وليلته حتى يقف على كل صغيرة وكبيرة فيستطيع تقويم المعوج قبل أن يستفحل أمره.

ولكن أخي المربي:

احذر من أن يكون هذا بصورة تبعث على النفور والإعراض من جانب الولد، ولكن كن ذكيًا فطنًا عند ممارستك لذلك الأسلوب.

ولنطلق عليه (أسلوب المصاحبة)، ولكن كيف تكون المصاحبة بين فردين بينهما فارق كبير ظاهر في السن والنضج العقلي والعلم والثقافة؛ مما قد يشكل حاجزًا يعيق عملية المصاحبة؟ أجاب النبي

ﷺ على هذا السؤال فقال: «من كان له صبي فليتصاب له»[1].

ومعناه أن ينزل إلى مستواه، فيلاحظه بالقول والفعل و يعامله باللين والرحمة و يقربه منه و يراعيه و يلاعبه.

ولقد دخل على سيدنا «عمر بن الخطاب» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد عماله فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون حوله فأنكر عليه ذلك؛ فقال سيدنا «عمر» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كيف أنت مع أهلك؟ قال: «إذا دخلت سكت الناطق! فقال له عمر «اعتزل عملنا.. فإنك لا ترفق بأهلك وولدك، فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ؟!».

وقال بعض الحكماء: (لاعب ولدك سبعًا، وأدبه سبعًا، وصاحبه سبعًا، ثم اترك حبله على غاربه).

ويجني الآباء والمعلمون فوائد كثيرة من أسلوب المصاحبة هذا:

١. المصاحبة تزيل الحواجز وتقرب الفواصل بين الولد ومربيه، فلا يشعر الولد بأي حرج من أن يستشيره في دقائق أموره بدلًا من أن يستشير قليلي الخبرة من أصدقائه.

٢. أسلوب المصاحبة يولّد لدى الشباب استعدادًا نفسيًا لقبول النصح والتوجيه؛ فالمعروف أن مرحلة الشباب والمراهقة تتسم بالرغبة في تأكيد الذات إلى الحد الذي يتصور معه الشاب أنه قادر على تعرف أموره بنفسه، وأنه لا حاجة له للنصح والإرشاد، ولكن صدر الولد يتسع لنصح (المربي

(١) رواه معاوية بن أبي سفيان – سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٤٦٤٠ – للألباني

والوالد الصديق).

٣. مصاحبة الولد تكشف للمربي عن قدراته الحقيقية وعن نضجه العقلي والنفسي، وبذلك يستطيع تحديد ما يناسبه من توجيه وتكليف دون زيادة أو نقصان.

أخي المربي: كن حذرًا لبقًا في استخدام هذا الأسلوب حتى لا يستخدمه الطلاب استخدام خاطئ.

تاسعًا: استخدام الأحداث الجارية في التربية (التربية بالمناسبات):

الحياة مليئة بالأحداث الجسام، والناس بحكم وجودهم على ظهر هذه الأرض يتفاعلون معها، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وثقلها وتهذيبها، فلا يكون أثرها موقوتًا لا يلبث أن يضيع.

وهذا النوع من الوسائل له مزية عن غيره؛ فهو يحدث في النفس حالة خاصة هي أقرب للانصهار، فالحادثة تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال وحينئذ يطبع المربي توجيهاته وتهذيباته فلا يزول أثرها.

وأصل هذه الطريقة نجده في نزول القرآن الكريم؛ فكلنا يعلم أنه نزل منجمًا أي مفرقًا ليلائم الأحداث التي تحدث، فإذا به يسوق مع كل موقف تحليلًا، ومع كل نصر درسًا، ومع كل هزيمة عبرة وخبرة.

ويستطيع المربي أن يستغل الأحداث التي تمر بالولد في توجيه دفة أموره كوفاة أحد أقربائه مثلًا، أو نيل أحد معارفه عقابًا صارمًا نتيجة لسلوكه الشاذ... الخ فالمقصود هو الطرق والحديد ساخن حتى لا تمر الحادثة بلا عبرة مستفادة ولا أثر ينطبع في النفس ويبقى.

والهدف هو ربط القلوب دائمًا بالله سبحانه في كل وقت وحين.

ونرى المربي الأول ﷺ يستخدم هذا الأسلوب - أسلوب المناسبات - في تعليم الصحابة رضوان الله عليهم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلًا من بعض العالية.. فمر بجَدي أسك (أي صغير الإذن) ميت فتناول أذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟

قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟

قال: أتحبون أنه لكم؟

قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟

فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم[1].

ومن فوائدها التربوية:

١. أنها تؤثر تأثيرًا بالغًا في نفس وفكر المتعلم؛ لأنه يكتسب مفاهيم وقعت تحت حاستي السمع والبصر، وهذه هي درجة

---

(١) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله «رضي الله عنه»

اليقين التي هي أعلى مراتب التعليم.

٢. تمتاز التربية بانتهاز المناسبة بتنويع المفاهيم التي تصل إلى الطالب ولا تقتصر على مفهوم واحد، وهذا مما يجعل المتعلم في استمرارية التعلم دون شعوره بالملل فمثلًا:

- **عند نزول المطر**: يستطيع إيصال مفهوم عقائدي للطالب.
- **عندما يعطس الولد** : تستطيع إيصال مفهوم خُلقي.
- **عند الأذان** : يقول ما يقول المؤذن : مفهوم عبادي.
- **عند استماعه الغيبة**: تنبيه المغتاب إلى حرمة هذا الفعل: مفهوم أخلاقي.

٣. من ثمارها أن تفتح الحوار بين المعلم والمتعلم مما يؤدي إلى تنامي الأفكار والمعلومات لدى المتعلم.

٤. من خصائصها أيضًا أنها تحقق الأهداف السلوكية الثلاثة.

- **الهدف المعرفي**: في يوم عاشوراء ينبه أحد العلماء بفضل صيام هذا اليوم وبدليل حديث رسول الله ﷺ ثم يبين لهم مناسبة صيام رسول الله ﷺ لهذا اليوم.
- **الهدف الوجداني**: الحديث السابق (الجدى الأسك) من الرؤية والملاحظة يستقر في وجدان الصحابة - رضي الله عنهم - هوان الدنيا عند الله سبحانه؛ فتحرك في نفوسهم الزهد في الدنيا.
- **هدف نفسي سلوكي**: عند سماع الآذان يقول المتعلم كما

يقول المؤذن فعندئذ تكونت له مهارة معرفة ترديد الآذان.

أخي المربي تستطيع في بداية كل أسبوع حصر المناسبات التي تمر على الأولاد في الجدول الآتي، وأن تختار الموضوعات التربوية والمفاهيم التي تود إيصالها إليهم خلال هذه المناسبة، وضع في اعتبارك المناسبات الطارئة (المرض، الموت، .. الخ).

اليوم	التاريخ	الحدث	الموضوع التربوي
		رحلة إلى البحر والطبيعة الخلابة.	بيان عظمة الله تعالى وذكر بعض الآيات الكريمة التي تدعو إلى التفكير في ملكوت الخالق تبارك وتعالى.
		قراءة أخبار مثيرة عن الانتفاضة والمجاهدين في فلسطين.	حث الأبناء فورًا على الإنفاق لإخوانهم المجاهدين، وبيان فضل الإنفاق والجهاد في سبيل الله، وعداوة اليهود لأمة الإسلام.
		مرض أحد الأقارب أو موته.	فضل زيارة المريض وعيادته، المشي في الجنازة وأحكامها، الخوف من الله عز وجل، والعمل لما بعد الموت والاستعداد له.

		الصيام	التذكير بأحكامه، وآدابه والحث عليه.
		هجرة الرسول	العبرة والعظات من الهجرة.
		افتتاح المدارس	فضل طلب العلم والحث عليه.

عاشرًا: التربية بتوجيه الطاقة:

فمن وسائل الإسلام في تربية الإنسان وفي علاجه تفريغ الشحنات من نفسه وجسمه أولًا بأول، إنه يملأ النفس والجسم بشحنات طبيعية، ثم يطلق هذه الشحنات في عمل إيجابي إنشائي، والطاقة التي يفرزها الإنسان تصلح للخير وتصلح للشر، تصلح للبناء وتصلح للهدم، فالمربي يوجهها الوجهة الصحيحة في سبيل الخير ولا يخزنها؛ وبذلك يقي النفس كثيرًا من أنواع الانحراف، والمربي لا يترك لطلابه الفراغ الذين يشكون منه.

«فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل»

حادي عشر: التربية بالمقارنة:

نهج القرآن الكريم أسلوب المقارنة بين الأضداد في التربية؛ وذلك ليتضح الفارق بين الخير والشر والطيب والخبيث، وعليه يبين جزاء كل منهما في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

ثاني عشر: المحاضرة:

وهي طريقة الإلقاء، وهي أكثر الطرق شيوعًا، وفيها يكون المعلم القائم بدور الملقن والطلبة يستمعون لما يقول.

وهي ولا شك طريقة تبعث على الملل والسلبية وشرود الذهن- خاصة بالنسبة للأطفال – ولكن المربي أحيانًا قد يضطر إلى استخدامها خاصة عندما يضيق الوقت أو يكثر عدد التلاميذ، أو يقل الذكاء، أو عند طرح أفكار جديدة صعبة.

ولذا نوصي المربي بعدة أمور عندما يلجأ إلى مثل هذا اللون من الأساليب:

١. التحضير لها قبل موعدها بوقت كاف؛ فيقرأ المربي الدرس الذي سيحاضر فيه، وأن يتعمق ويتوسع من مراجع مختلفة.

٢. براعة الاستهلال للموضوع فيجعل مدخله إلى موضوع المحاضرة فيه إثارة للتلاميذ كاستهلاله بقصة مشوقة، أو سؤال مميز، أو مشكلة معضلة.. الخ.

٣. يحاول المربي ألا يكون هو المتحدث الأوحد في الفصل، بل يُشرك طلابه من آن لآخر.

٤. استخدام الوسائل التوضيحية كلما أمكن (المصورات والأفلام.. الخ).

٥. التوقـف في نهاية كل فقرة وجعل الأولاد يلخصونها بعباراتهم، ثم يدونها المربي على السبورة.

٦. استخدام إشارات اليد وحركات العينين ونبرات الصوت وتغيير تعبيرات الوجـه، فكل هذا يضفي الـروح والحيوية والإثارة والتشويق على الدرس.

٧. وضوح الصوت حتى يسـمعه جميع من يجلس حوله، مع عدم الإسراع في الكلام.

٨. مراعاة المسـتمعين بحيـث يتوقف قليلًا أو يتبع أسـلوب آخر عندما يشعر أنهم قد أصابهم الملل.

٩. وزع نظراتك على الجميع.

١٠. تجنب هذا الأسـلوب في الحصص الأخيرة من اليوم الدراسي، فالتلاميـذ أقـل قدرة علـى الاسـتماع والتركيز بسـبب عوامل الجوع والتعب والنعاس.

ثالث عشر: التربية باللعب:

اللعـب في هـذه المرحلة يعتبـر مجـالًا حيويًا يحقـق أهدافًا كثيـرة، فمنها ما يدربهم على الأخذ والعطاء، ومنها ما يدربهم على القيـادة الواعية أو التبعيـة الواعية، ومنها ما يدربهـم على التعاون والعمل الجماعي، ومنها ما يكسـبهم صفات طيبة نبيلة كالتسـامح وحـب الخير والميل إلى التعاون، وبالإضافـة إلى أن اللعب مجال حيوي لتكوين الشخصية وتسليحها بالأركان الخُلقية التي تجعلها

قادرة فيما بعد على التوافق السليم؛ فهي مجال صالح لتنمية قدرات الولد، وإكسابه المهارات التي تسهل بعد ذلك تمييزها والكشف عنها فيما يفيد.

واللعب أيضًا يسهم في تحقيق برامج الصحة النفسية في حياة الناشئ إلى أبعد مدى؛ فهو مجال وقائي يشغل الطفل، ويجذبه إلى نشاط محبب إلى نفسه، ويبعده عن قرناء السوء أو عوامل الانحراف النفسي أو الاجتماعي، بل إن اللعب وما يتضمنه من أنشطة يشكل بيئة لشفاء نفس الطفل مما قد يلم به من مؤثرات بيئية تعرقل نموه السليم، كقسوة والديه أو التدليل الزائد أو الخوف أو غير ذلك من المؤثرات، ففي اللعب تتهيأ له الفرصة لينفس عن انفعالاته المكبوتة ويعبّر عنها، وفي نفس الوقت تتهيأ الفرصة لمربيه للإلمام بمشكلاته وتحقيق راحته النفسية، وعلاوة على ذلك؛ فإنه يحقق له صحة جسمية، ومرونة عقلية، كل ذلك يحقق تكاملًا في شخصيته ليكون عضوًا نافعًا في مجمع متكامل مترابط متآخ؛ فهذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، النبي ابنٍ النبي ابن النبي ابن النبي «يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» يقص علينا القرآن قصته فيقول إخوته لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] فلم يعترض أبوه على لعبه ولم يعقب القرآن بالاعتراض على قضية اللعب.

ولقد أدرك المربون الأوائل حاجة الأولاد إلى اللعب منذ العصر الأول في تاريخ هذه الأمة؛ فقد حكي «معتب بن أبى الأزهر»

قال: قال لي «أبو القاسم عبد الله بن محمد» في معرض حديث:

وما حال صبيانكم في الكتاب؟

قلت: كثيرو اللعب.

قال: إن لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمائم[١].

بمعنى أنه لا يمنع الطفل من اللعب إلا أن يكون مريضًا.

وقال الغزالي مبينا الطريق في رياضة الصبيان وتأديبهم:

(وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلًا يستريح إليه من تعب الكتب، بحيث لا يتعب من اللعب)[٢].

فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا[٣].

ومن أمثلة الألعاب المفيدة:

١. مسابقات الجري بين الأطفال: فقد أجرى ﷺ مسابقة الجري بين أطفال بني عمه العباس (أخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم يقول: من سبق إليّ فله كذا وكذا.. قال: فيسبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره

(١) منهج التربية في القرآن والسنة صـ٢٤٣

(٢) أيها الولد المحب للإمام «أبو حامد الغزالي»

(٣) المصدر السابق صـ ٢٤٣

فيقبلهم و يلتزمهم).

٢. الرمي: عن أبي العالية أن رسول الله ﷺ مر بفتية يرمون فقال رسول الله ﷺ: «ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا»[١].

٣. المصارعة: وقد شاهد ﷺ مصارعة الغلامين قبيل غزوة أحد.

٤. الألعاب المجسمة: (عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو حنين وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت عن ناحية الستر عن بنات لعائشة – لعب – فقال ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي ورأيت بينهن فرسًا له جناحان من رقاع.

فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس.

قال: وما الذي عليه؟ قالت: جناحان قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة: قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه)[٢]

أخي المربي:

قم بحصر جميع الألعاب المناسبة لمراحل الطلاب المختلفة، وحاول أن تضع لكل لعبة أهدافًا تربوية ومفاهيم إسلامية تحققها وتوصلها من خلال هذه اللعبة.

---

(١) رواه سعيد بن منصور

(٢) رواه أبو داود و إسناده صحيح

رابع عشر: التربية بالثواب والعقاب:

أثر الثواب والعقاب في التربية الإسلامية

[التربية بالترغيب والترهيب]

المرء في الإسلام يتحمل نتائج وتبعات سلوكه الخيّر أو الشرير، والله سبحانه وتعالى لا يؤاخذه إلا بما كسبت يداه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

لهذا نجد المولى سبحانه وهو أعلم بطبائع النفوس التي خلقها بين وضح سبحانه في كتابه العزيز مبدأ الثواب والعقاب، أو مبدأ الترغيب والترهيب المتوافق مع فطرة البشر وتكوينهم البشري.

الترهيب (العقاب):

لقد نهج الرسول ﷺ - والمربون من بعده - أسلوب العقاب كأحد الأساليب لتقويم اعوجاج الولد، ونستطيع تعريف الترهيب بأنه وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب ما أو على التهاون في أداء واجب معين.

وإليك أخي المربي منهج النبي ﷺ في استعمال أسلوب الترهيب (العقاب):

١ - معاملة الولد باللين والرحمة هي الأصل:

فلقد كان النبي ﷺ في أقواله وأفعاله مثلًا يحتذى في ذلك،

أخـرج البخاري ومسـلم عن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قـدم ناس من الأعراب على رسـول الله ﷺ فقالوا أتُقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم، قالوا لكنا والله ما نُقَبّل، فقال رسـول الله ﷺ: أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة»[1].

ويسـتوعب الصحابة الكرام هذا التوجيه النبوي الشـريف في هـذا المجال ويتمثلـون له في سـلوكهم؛ فيفيضون علـى أطفالهم رحمـة وحنانًا، وهم الذين كان البعض منهم إلى عهد قريب يئدون بناتهم قبل الإسلام.

٢ - مراعاة طبيعة الولد المخطئ في استعمال العقوبة:

فالأولاد يتفاوتـون فيما بينهم ذكاء ومرونة واسـتجابة.. كما أن أمزجتهـم مختلفـة على حسـب الأشـخاص، وكل منهـم ينفع معه أسـلوب معين فـي العقاب؛ فمنهم مـن تكفيه النظرة العابسـة وقد يحتاج آخر للتوبيخ وثالث للهجر.. الخ.

ولقـد طلب الخليفة الرشـيد من مؤدب ولده ألا يدع سـاعة تمر دون أن يغتنـم فائـدة تفيده ويقوّمه ما اسـتطاع بالقرب والملاينة، فإن أبى فعليه بالشدة والغلظة.

٣ - إعطاء الفرصة ومراعاة الظروف والملابسات:

فنجد المولى سـبحانه وتعالى يمنح المخطئ والمسـيء الفرصة تلـو الفرصـة ليعـود عن خطئـه ويكف عـن إسـاءته ويتوب عن

(١) رواه البخاري ومسلم

فجوره، بل يصل الكرم المبهر إلى أقصاه فيستر أخطاءه وسيئاته ولا يفضحه بين الناس.

ثم يرتبط هذا الكرم الإلهي -اللا محدود- برحمة ومغفرة نهائية لا تتطلب أكثر من استغفار صادق وتوبة نصوح.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي..»[1].

وقبل أن ينادي المفكرون والمصلحون وعلماء الاجتماع باعتبار الظروف والملابسات المصاحبة لوقوع الخطأ كظرف وعامل مخفف للعقوبة نجد المولى «سبحانه» يُسقط العقوبة في حالات الخطأ والنسيان والإكراه والاضطرار.. ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يضع «سبحانه» كذلك نظامًا محكمًا وسياجًا قويًا وصمام أمان للإنسان من الوقوع في الخطأ والسقوط في مهاوي الرذيلة؛ فلا يتركه وحده يصارع مغريات الشر وجاذبية الفواحش، وبعد كل هذه الضمانات وعندما يكون لا مفر ولا جدوى إلا العقاب فإنه يأتي متدرجًا متنوعًا.

٤ – الصبر وكظم الغيظ والحلم هي الاستجابات الأنسب نحو أخطاء الأطفال:

فعلى المربيين – آباء وأمهات ومعلمين – أن يتفهموا جيدًا:

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن

أولًا: المعاييــر في عالم الطفل تختلـف عن المعايير التي نتعامل بها مع الكبار.

ثانيًا: ارتكاب الخطأ هو الطبيعة لأغلبية الأطفال - بل هو الأصل - فهــم يمــرون بمراحــل متدرجة مــن النمو ويحاولون اكتشــاف العالم من حولهم، يقلدون الكبــار ويجربون ويحاكون ويحبون المغامرة، ولا يســتطيع وعيهم الصغير أن يهديهــم إلى الصواب في معظم الأحيان.

ثالثًا: المشــكلات التــي يمر بها الأطفال لا تنتهــي بجرة قلم بين يوم وليلة، وإنما تتطلب جهدًا، وزمنًا تتدخل فيه معايير كثيرة منها بيئة الولد وشخصيته.. الخ، ومخطئ من يظن أن يشفي الولد مثلًا من مص أصابعــه أو بذاءة ألفاظه... الخ بضــرب أو إيذاء، فالأمر أعقد مــن هذا، فهو يحتــاج لجدولة زمنية لبرنامج عــلاج[1] الذي يتضمن الثواب تارة والعقاب تارة أخرى والقدوة والنصيحة ثالثًا ... الخ.

رابعًا: الإهانة والتحقير لا مكان لهما في تربية الطفل.

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

فعندما يتفهــم المربون تلك الحقائق يســتطيعون ضبط النفس وإطالــة البــال والصبر في مواجهة مشــكلات وأخطــاء أطفالهم.. وهي كثيرة تثير أعصاب الكبار وتســتفزهم فينهالون على أطفالهم ضربًا؛ فبدلا من حل المشكلة يزيدونها تعقيدًا.

---

(١) انظر الجدول اللاحق

٥ – التدرج في العقاب من الأخف إلى الأشد:

ويحسن بالمربي أن يتبع هذا المنهج النبوي الرشيد المتدرج في العقوبة، ويختار أفضل الوسائل في التأديب والمعالجة وهي كالتالي:

أ – الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه المباشر:

فعن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة (أي تتحرك هنا وهناك في إناء الطعام) فقال لي رسول الله ﷺ يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»[1].

فاختار النبي ﷺ التوقيت المناسب وهو وقت وقوع الخطأ، وبدأ مخاطبته للمتعلم بكلمة محببة إلى نفسه (يا غلام). (لا بأقبح أسمائه) ثم أرشده إلى خطئه وزاد عليه مجموعة آداب أخرى.

ب- الإرشاد إلى الخطأ بالتعريض:

قال رسول الله ﷺ: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ولكني أصلي وأنام، أصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

يستطيع المربي أن يستخدم هذه العبارات: ما رأيكم في الخطأ الآتي...؟

---

(١) رواه البخاري

(٢) صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٥٤٤٨

هل يصح أن يفعل المسلم الملتزم مثل هذا الخطأ؟

ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا...؟

وفي هذا حفظًا لشخصية المتعلم فلا يقلل من شأنه ومرتبته أمام زملائـه، كما أنه يصحـح الخطأ لدى أناس آخرين؛ فيشـعرون أن المربي يقصدهم هم.

ج- الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة:

فعـن ابن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـال – كان الفضل رديف رسـول الله ﷺ، فجاءت امرأة مـن خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر؛ فقالت: يـا رسـول الله إن فريضة اللـه تعالى على عباده فـي الحج أدركت أبي شـيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه: قال نعم وذلك فـي حجة الوداع[1]. فالنبي ﷺ عالج هذا الخطأ بتحويل الوجه إلى الشق الآخر وقد أثّر ذلك في الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أدبه بحسن الإشارة فإن لم يكن فبصريح العبارة

د – الإرشاد إلى الخطأ بالتوبيخ:

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سـاببت رجـلًا فعيرته بأمه (قال له يا ابن السـوداء) فقال رسول الله ﷺ يا أبا ذر أعيَّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكـم خولكم جعلهم الله تحـت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم

---

(١) رواه البخاري

من العمل ما لا يطيقون، وإن كلفتموهم فأعينوهم[١].

فقد عالج النبي ﷺ خطأ أبي ذر حين عيّر الرجل بسواده بالتوبيخ والتأنيب، ثم وعظه بما يلائم المقام وما يناسب التوجيه، ويمكن حرمان الولد من أشياء يُحبها كجائزة، رحلة،... الخ.

هـ- الإرشاد إلى الخطأ بالهجر ومقاطعة المجموعة له:

عن سعيد بن جبير أن قريبًا «لعبد الله بن مغفل» قال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الحذف وقال إنها لا تصيد صيدًا ولا تنكأ عدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين قال فعاد فقال أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم تحذف لا أكلمك أبدًا[٢].

وكذلك قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فنهى رسول الله ﷺ عن كلامهم خمسين ليلة، ومن فوائد هذه الطريقة:

- أنها تشعر المخطئ بذنبه مباشرة بعد المقاطعة.
- تبين أهمية الجماعة للفرد.
- تربية غير مباشرة لباقي الأفراد؛ ففيها رسالة ضمنية لهم أن من يأت مثل هذا الخطأ يلاقي مثل هذا العقاب.

و - الإرشاد إلى الخطأ بالضرب:

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم

(١) رواه البخاري

(٢) رواه مسلم

أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع[١].

وقال ﷺ «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم»[٢].

ولكن الإسلام - أخي المربي - حينما أقر عقوبة الضرب كوسيلة من وسائل التقويم أحاطها بدائرة من الضوابط أهمها:

١. أن لا يلجأ إليه المربي إلا بعد استنفاذ كافة الوسائل الأخرى.

٢. ألا يضرب وهو في حالة غضب شديد مخافة إلحاق الضرر بالولد؛ فكم من مربّ ضرب تلميذه وهو غاضب فأصمه أو أتلف بصره أو أصابه بعاهة مستديمة.

٣. أن يتجنب في ضربه الأماكن المؤذية كالرأس، الصدر، البطن، فروى «أبو داود» عنه ﷺ «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه».

٤. أن يكون الضرب غير شديد وغير مؤلم.

٥. ألا يُضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من سنه عملًا بالحديث الشريف.

٦. وعلى المربي أن يراعي الوقت المناسب - لا في الضرب فحسب - بل في كل أنواع العقوبات؛ فلا يعاقب المخطئ بعد يومين من ارتكابه الخطأ حتى لا يضيع الأثر المرجو من العقاب.

---

(١) رواه أبو داود

(٢) صحيح الجامع الصغير رقم ٤٠٢٢ - للألباني

٧. إذا بلغ الولد سن البلوغ فعلى المربي أن يُغلّب الحوار العقلاني الوجداني مع الولد، وأن يتجنب الضرب كعقاب مع البالغ لأن شخصيته قد تكونت .

أما إذا وجد أنه لا يثمر فائدة تربوية فلا يستمر فيه، إنما يبحث عن وسيلة أخرى لمعالجة الخطأ.

ومن هذا يتضح لنا أن التربية الإسلامية قد عنيت بموضوع العقاب عناية فائقة سـواء كانت عقوبة معنوية أم مادية، والمربي الكفء لا يلجـأ إلى الضرب -إلا في الحالات القصوى - فهو يهدد شـخصية الولد، ويوّلد في نفسـه الخوف والجبن وكراهيـة المربي، وفي هذا يقول ابن خلدون: «من كان مرباه بالعسـف والقهر من المتعلمين.. سطا به القهر.. ودعاه إلى الكسل وحمله على الكذب والخبث خوفًا من انبسـاط الأيـدي بالقهر عليـه وعلمه المكـر والخديعة، ولذلك صارت له هذه عادة وخلقًا وفسدت معاني الإنسانية التي له»[١].

وعليك أخي المربي ألاّ تُسرف في معاقبة الولد - خاصة أمام زملائه - وإياك أن تسـخر منه فيزداد ارتباكه وخطؤه، وفي هذا يقول الغزالي رحمـه الله: (لا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط الكلام في قلبه)[٢].

وكم يكون المربي موفقًـا حكيمًا حينما يضع العقوبة موضعها

(١) مقدمة ابن خلدون - ج٢ ص٢٤١- ط٢ - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان

(٢) أيها الولد المحب - أبو حامد الغزالي

المناسـب كما يضع الملاطفـة واللين في المكان المناسـب، وكم يكـون غير موفق حينما يحلم في موضوع يحتاج للشـدة والحزم، ويقسـو فـي مواطن الرحمة والعفـو، وفي تقديـري أن المربي إذا اعتنـى بتربية طلابـه إيمانيًا ورباهـم على الإيمان بالله والخشـية منـه وجعلهـم يستشـعرون مـن أعمـاق وجدانهـم أن اللـه معهم يراقبهم ويراهم ويعلم سـرهم ونجواهم، فإن التخويف الأخروي والتهديـد الدنيـوي سـوف يبلغ مـن قلوبهم كل مبلغ، واللمسـات الترهيبية والزجرية تترك أثرها في نفوسهم، وتنعكس على سلوكهم ومعاملاتهم، وعندئذ ينصلح أمرهم وتستقيم أخلاقهم.

وفي الختام تذكر بعض القواعد التربوية في التربية بالعقوبة:

١. يجـب ألا يوقع العقاب إلا في حالة حدوث الأخطاء المتكررة وكان من اللازم توقيع العقاب.

٢. توجـه إلى الله بالدعاء لهداية هذا الولد وأن يقيه شـر الوقوع في خطئه مرة ثانية فبيده - سبحانه وتعالى - مفاتيح القلوب.

٣. لا تضـع سـيفك حيث يكفيك سـوطك، ولا تضع سـوطك حيث يكفيك لسانك، كما يقول سيدنا «معاوية بن أبى سفيان» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤. تجنـب التهديـد بالعقوبـات الصعبـة التنفيـذ؛ إذ أن مثل هذا التهديد يفقد قيمته عندما يدرك المتعلم أنه مجرد كلام.

٥. يجب أن يكون العقاب على قدر الخطأ، وأن يتناسب مع شدة الذنب، فلا يصح توقيع العقاب الصارم على خطأ بسـيط، كما

لا يصح إهمال العقاب على خطأ جسيم.

٦. يحسن دائمًا تصحيح الأخطاء، وبيان سبب العقاب للولد قبل توقيع العقاب عليه؛ حتى لا يظن أنك تضطهده.

٧. إذا أردت أن تطاع فأمر بما يُستطاع، ومعنى ذلك أنه لا يصح أن يُعاقب المتعلم على خطأ لا يد له فيه ولا ذنب له.

٨. من أساليب الترهيب أن يذكر المربي طلابه بأن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب، وأن كل ما يصيب العبد من مصائب وبلايا فهو بسبب ذنوب وآثام صدرت منه؛ فالمراهقون قد يتساهلون في أمر الآخرة ويستخفون به - خاصة وأن نضجهم العقلي لم يكمل بعد - ولكنهم يخافون من عقوبة الله في الدنيا أكثر وخاصة أنه يخطون خطواتهم الأولى نو بناء مستقبلهم.

وروى الحاكم بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

جدول متابعة لتصحيح أخطاء الأبناء:

اليوم	التاريخ	الاسم	الخطأ	نوع التوصية	تاريخ تكرار الخطأ خلال أسبوع
السبت	٢٠ رمضان	أحمد	عناد	توجيه مباشر	لم يكرره خلال الأسبوع

اليوم	التاريخ	الاسم	الخطأ	نوع التوصية	تاريخ تكرار الخطأ خلال أسبوع
الأحد	٢٧ رمضان	محمود	تأخير في أداء الصلاة	بالتعريض	كرره بتاريخ ٢٩ رمضان

وفي كل فترة يجلس المربي مع نفسه و يقيّم هذا الطالب على ضوء هذا الجدول ثم يحاول وضع صورة مثلى للعلاج إن لم تجد الوسائل الماضية.

الترغيب (الثواب):

الترغيب في اللغة الحرص على الشيء والطمع فيه، وهو يعني التشويق والحث على فعل الشيء.

اصطلاحًا: إغراء بمصلحة أو لذة أو منفعة آجلة مؤكدة خيرة خالصة من الشوائب مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله[١].

ولقد حرص الإسلام أشد الحرص على أسلوب الترغيب، فأثر الثواب أقوى وأبقى من أثر العقاب و إن المدح أقوى وأفضل من الذم:

- وأثر الثواب أكبر دوامًا وتواصلًا من أثر العقاب.
- وأثر الثواب إيجابي في حين أن أثر العقاب سلبي.
- كما أن الثواب يضمن تكرار وتثبيت السلوك المثاب عليه

(١) مدخل إلى التربية الإسلامية – ص١١٠

بينما لا يضمن العقاب الكف عن السلوك المعاقب عليه.

شجع الولد واشكره على حسن أدبه وجهده واجتهاده ولو بالكلام وليكن شكرك له ربانيا: (جزاك الله خيرًا. بارك الله فيك. أحسنت. ما شاء الله) فإن ذلك يشدُّ همته ويكون حافزًا لغيره على اقتفاء أثره.

وعلى المربي أن ينوع في وسائل الترغيب، فهي إما مادية (هدايا. نقود. ألعاب. ملابس جديدة.. الخ) وإما معنوية (كلمات الثناء والمدح والتصفيق، وضع علامات مميزة وعبارات تقدير وشكر على صفحات الدفاتر ومنح شهادات تقدير... الخ).

كيف تختار الثواب المناسب ؟

عليك أخي المربي أن يكون ثوابك متوافقًا مع اهتمامات الولد وميوله، وأن يسهم في إشباع حاجاته النفسية واحتياجاته المادية حتى يكون له أثره الدافع، فليس من المناسب أن أهدي كرة قدم لطفل يهوى القراءة مثلًا، وإنما المنطقي أن أهديه مجموعة كتب قيمة، وليس من الحصافة أن أهدي لعبة لطفل فقير يحمل حقيبة مدرسية رثة وممزقة، بل يمثل الثواب هنا فرصة جيدة للمربي كي يهديه حقيبة جميلة دون جرح مشاعره.

كما عليك أخي المربي أن تهتم بالشكل التذكاري للثواب كشهادات التقدير، رسائل الشكر، الميداليات، الكؤوس، الصور التذكارية... الخ.

ماذا تفعل مع الذين لم يثابوا؟

وهي مشكلة تربوية قائمة لا مجال لإنكارها، وهي أن بجوار الفائز المثاب هناك العديد من الخاسرين الذين لم يثابوا، ودور المربي في هذه الحالة لا يتعدى إلا التخفيف من آثار هذه المشكلة ومضاعفاتها فقط، فيوّجه الفائز بعدم التعالي على زملائه وعدم مكايدتهم بهذا الفوز، ثم بإفهام هؤلاء أن عدم إثابتهم ليس نهاية المطاف، وأن بذلهم المزيد من الجهد سيؤدي إلى إثابتهم حتمًا.

عليك أخي المربي أن تدخل في نطاق ثوابك فئة المتحسنين والمتقدمين، فمثلاً: الطفل الذي حصل على نصف الدرجة في اختبار ما، ثم تقدم في الاختبار التالي محققا ثلاثة أرباع الدرجة، كل أولئك ومن على شاكلتهم لا بد من إثابتهم لتعزيز موقفهم وسعيهم نحو الأفضل.

أخي المربي تذكر أن:

تضيع شخصية الولد بين التدليل والقسوة، فإذا لنت له كل اللين إما أن يشب ضعيف الشخصية لا يستطيع مواجهة الصعاب لأنه تعود أن أوامره مجابة، وإما أن يكون عدوانيًا ناقمًا على المجتمع، وإذا قسوت على طول الطريق فيشب ذليلًا يعتاد الضرب ويخضع لأقل الظروف، ولكن لين بقسوة وحزم برحمة.

فقسا ليزد جروا ومن يكن راحمًا

فليقس أحيانًا على من يرحم.

أخي القارئ الكريم أرجو الدعاء لي بظهر الغيب ولك مني مثل ذلك.

الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

سبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.



خاتمة البحث

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع بـه كاتبه وقارئه، وأن يكون خطوة على طريق النهوض بالتربية الإسلامية في بيوتنا ومدارسنا.

وبعد هذه الدراسة نوصي بالآتي:

أولًا: أن تكون نظرتنا إلى التربية الإسلامية نظرة إيجابية وشاملة، ونقتنع بأن القرآن والسنة والكون وحياة الرعيل الأول هم المصدر الأصيل لنظريتنا التربوية.

ثانيًا: العمل على إعداد المربي المؤهل لتربية الجيل المسلم الذي ننتظره.

ثالثًا: تشجيع قيام مؤسسات تقدم الأنشطة التربوية المتوافقة مع ديننا وعقيدتنا.

والله نسأل العون والتوفيق والهداية.



مراجع البحث

١. أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام؛ دار المعارف.

٢. أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد النبي ﷺ، ط١. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥.

٣. د. حسن حسين زيتون، الاتجاه الديني في تدريس العلوم؛ ط١. القاهرة: دار المعارف؛ ١٩٨٤.

٤. زغلول راغب النجار؛ أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية؛ ط١. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٠.

٥. سراج محمد عبد العزيز؛ التربية الإسلامية وكيف نرغبها لأبنائنا؛ سلسلة دعوة الحق.

٦. د/ سعيد اسماعيل علي؛ فلسفات تربوية معاصرة؛ عالم المعرفة عدد ١٩٨.

٧. د/ شحاتة محروس طه؛ أبناؤنا في مرحلة البلوغ وما بعدها؛ سلسلة سفير التربوية (١٢).

٨. عابد توفيق زين العابدين؛ أنشطة الدعاة؛ ط١: القاهرة دار البشير؛ ١٩٨٨.

٩. عبد الأمير شمس الدين؛ الفكر التربوي عند ابن جماعة؛ ط٢: دار اقرأ ١٩٨٦.

١٠. عبد الرحمن صالح عبد الله وآخرون؛ مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها؛ ط١: الأردن؛ دار الفرقان ١٩٩١ جامعة اليرموك.

١١. عبد الفتاح جلال؛ من الأصول التربوية في الإسلام؛ مطابع المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم ١٩٧٧.

١٢. عبد الله قاسم الوشلي؛ المسجد ودوره التعليمي عبر العصور، سلسلة نحو النور، القاهرة: دار التوزيع والنشر.
١٣. عبد الله ناصح علوان؛ تربية الأولاد في الإسلام «جزءان»؛ ط٧: دار السلام ١٩٨٤.
١٤. علي أحمد لبن؛ زاد المعلم؛ ط٢ القاهرة: دار الوفاء ١٩٨٧.
١٥. علي القاضي؛ أضواء على التربية في الإسلام؛ ط١ ١٩٧٩.
١٦. علي سيد أحمد؛ تربية وتعليم الأبناء في ضوء القرآن والسنة؛ السعودية دار الجبرتي للنشر والتوزيع.
١٧. د/ عفاف هاشم خليل؛ التربية، معناها. أهدافها، كلية التربية جامعة حلوان.
١٨. د/ محمد سعيد رمضان البوطي؛ منهج تربوي فريد في القرآن؛ مؤسسة الرسالة؛ ط١.
١٩. محمد نور عبد الحفيظ سويد؛ منهج التربية النبوية للطفل؛ ط٢.
٢٠. وزارة التربية والتعليم؛ المعجم الوجيز؛ طبعة خاصة بالوزارة؛ إصدار مجمع اللغة العربية ١٩٩١.
٢١. د/ يوسف القرضاوي؛ الخصائص العامة للإسلام؛ ط٣ - مكتبة وهبة - ١٩٨٩.

تعريف بالمؤلف

الاسم/ حمدي محمد الأدهم.

- حاصل على / ليسانس آداب – لغة عربية – جامعة القاهرة.
- دبلوم التربية العامة – كلية التربية – جامعة عين شمس.
- دبلوم التربية الخاصة – كلية التربية – جامعة عين شمس.
- دبلوم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها – معهد البحوث التربوية – جامعة القاهرة.
- إجازة الخطابة – معهد الدراسات الإسلامية – الجمعية الشرعية.
- دبلوم الدراسات الإسلامية – المعهد العالي للدراسات الإسلامية.
- تمهيدي ماجستير – المعهد العالي للدراسات الإسلامية.
- إعداد ماجستير في اللغة العربية.
- إجازة حفص عن عاصم في حفظ القرآن الكريم وتجويده.
- حاصل على دكتوراه في إعلام وثقافة الأطفال «كلية الدراسات للطفولة» جامعة عين شمس.
- حصل على عدة جوائز في بحوث إسلامية من العديد من المؤسسات مثل: مؤسسة اقرأ – المجلس الأعلى للشباب والرياضة – وزارة الأوقاف.

- يعمل في المجال التربوي.
- عضو بنقابة المعلمين.
- عضو برابطة التربويين.
- عضو برابطة الأدب الإسلامي.
- له كتب تحت الطبع.



الفهرس